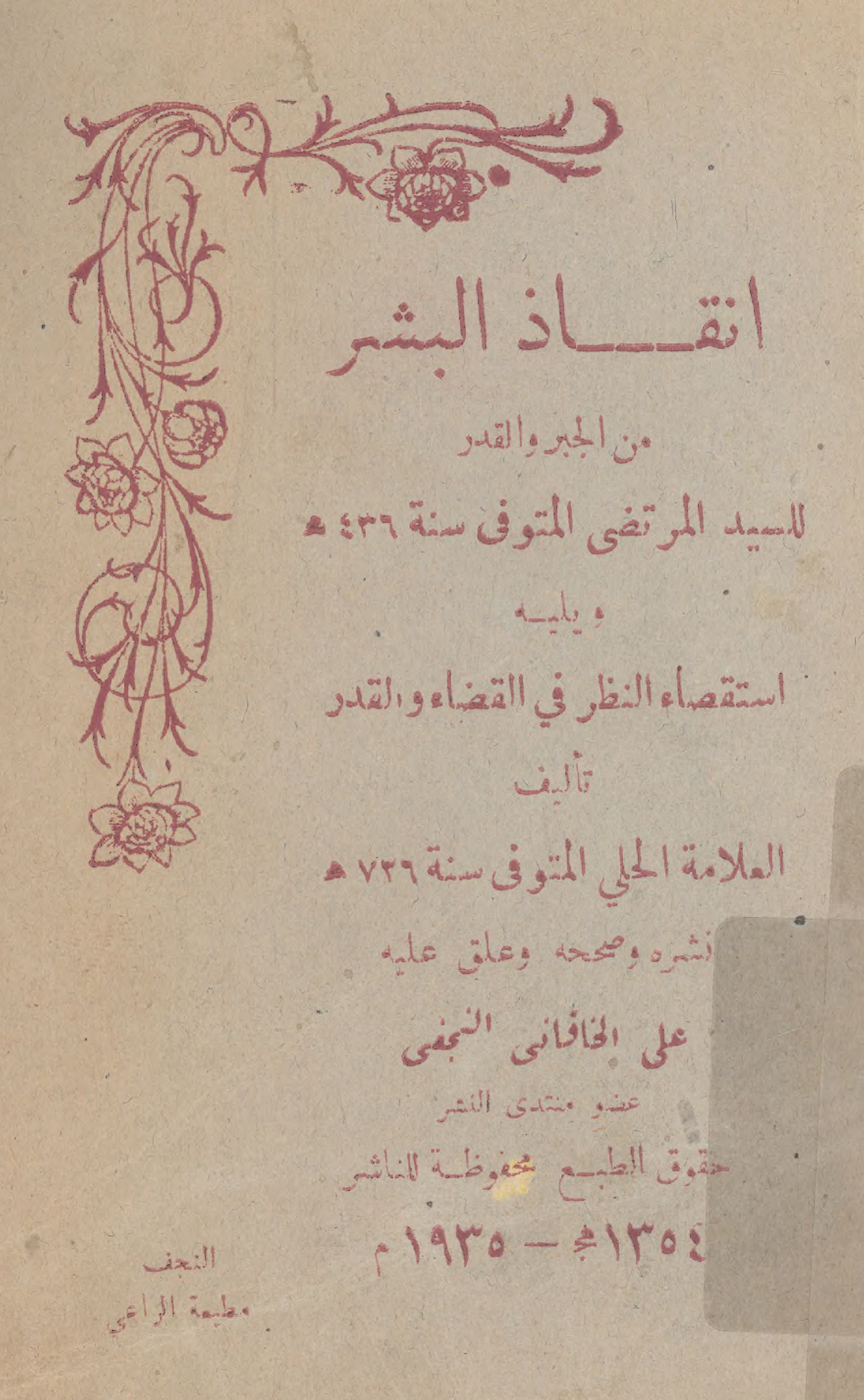


انقــــاذ البشر

من الجبر والقدر

للسيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ

ويليـه

استقصاء النظر في القضاء والقدر

تأليف

العلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ

نشره وصححه وعلق عليه

علي الخاقاني النجفي

عضو منتدى النشر

١٣٥٤هـ — ١٩٣٥م

النجف
مطبعة الراعي

انقاذ البشر من الجبر والقدر

تأليف

السيد الشريف المرتضى المتوفى ٤٣٦ ه

ويليه

استقصاء النظر في القضاء والقدر

تأليف

العلامة الحلي المتوفى ٧٢٨ ه

نشره وصححه وعلق عليه

علي الخاقاني النجفي

عضو منتدى النشر

١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م

مطبعة الراعي

في النجف



المقـدمة

بقلم العلامة الكبير

﴿ الشيخ محمد الجواد الجزائري ﴾

ان كتاب « انقاذ البشر » الطائر الصيت بين جهابذة المعقول والمنقول منذ القرن الرابع ليمثل الحياة العقلية الاعتقادية بابهى مناظرها فلقد سلك فيه مؤلفه الحافل بكل الفضائل علم الهدى ره مسلكا بين المنطق والسماع الديني لخص فيـه ثقافة يجب على رجال الفكر ان يظفروا بها ويأخذوا منها بالحظ الوافر.

درس « انقاذ البشر » في عناية وتحقيق يفيـد الذين يريدون ان يدرسوا علم البحث الحر حول المعـارف العقليـه ويفهموا دقة اساليب بحثها العلمي لانه يكشف لهم في وضوح

وجلاء عن موضوع خطير اضطربت حوله كلمة دعاة الحق في تاريخ العلم وتمثل لهم وضعه على لوحة النفس وتحليله بالمحاكمات العقلية المحضة و يوصلهم باقيسة منطقية واشكال اولية ودلائل مجمعية من الايات القرانية والاحاديث المأثورة الى ما كان يتوخاه الحكيم والمتكلم في قرون مترامية من دون اي شك او ريب.

قد يصعب على كثير من طلاب الحقايق الذين اعتادوا ان يستفيدوها من طريقي التجربة وامتحان ظواهر الطبيعة ان يصلوا الى حقيقة موضوع بعيد الغور كموضوع مسئلة القضاء والقدر من الطرق المألوفة لعلاجه .

لكن هذا السفر الجليل في كثير من مباحثه تمشى باساليبه المنطقية بين نواميس الطبيعة وما وراءها فهو ينفي كل ريب من اي مطالع له تعود الخضوع للبرهان اذا دخل نطاق بحثه العلمي واستوعب فيه نواحي هذا الموضوع الخطير .

ان مسئلة القضاء والقدر معضلة الفلسفة والكلام واهم مسئلة شغلت عقول الناس في كل عصور التاريخ وقد تطرق اليهـا

الـكثير من المتكلمين والحكمآء في مباحث لاتخلو من التهجس بيد ان كـتاب « انقاذ البشر » عني باساليبه المحـكمة في سبيل تحقيقها عناية الفن والادب فهو يحلل النظرات العلمية تحليلا منطقيا ويجهز لها جهازا من اوليات الفلسفة ويفيـد اقيستها ونتائجها لطلاب الحقيقة من دون اي صعوبة في الدرك فهو جدير بالتنويه به والتنبيه عليه وليس من الغلو فيه ان يقال انه يمثل فلسفة العـلم والادب ويجمع الى صحة النظر براعـة البيان و بلاغته .

وعلى الجملة فان تيسير الحصول عليه بنشره مايزيد في سعادة الامة الاسلامية وحياتها العقلية الاعتقادية فحري بنا ان نشكر الفاضل الناشر على جهوده العظيمة في سبيل تصحيحه وتمثيله للطبع وان الله لمع المحسنين ؟

محمد الجواد

آل الشيخ احمد الجزائري

السيد المرتضى

المتولد سنة ٣٥٥ ه والمتوفى ٤٣٦ه (١)

هو السيد المرتضى ، لقبه علم الهدي ، كنيتـه ابو القاسم ؛ اسمه علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الامام الحسين الشهيد بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (٢) جمع كل فضيلة ، انتهت اليه رئاسة الشيعة الامامية في عصره .

« ولادته ونشأته »

ولد المرتضى ببغداد في شهر رجب سنة ٣٥٥ ه ونشأ بها هو واخوه الرضي منشأ عظيما ، ودرسا القرآن الكريم مع مبادئ اللغة العربية على ابن نباتة صاحب الخطب المتوفى ٣٧٤ ه وهما طفلان ، ثم قرءا على الشيخ المفيد المتوفى ٤١٣ ه من حلم رآه استاذهما كأن « فاطمة » بنت رسول الله (ص) جاءته بالحسن

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ١٨١ (٢) ابن خلكان ج ١ ص ٣٣٦

والحسين (ع) فقالت له علمهما الفقه فلما انتبه واسفر الصبح جاءته فاطمة (١) ام المترجم بولديها المرتضى والرضي فقالت له: علمهما الفقه فعلمهما الفقه (٢) .

وكان قد تولى امارة الحاج والمظالم بعد اخيه الرضي . لان الرضي توفي قبل اخيه بثلاثين سنة اي ٤٠٦ هـ وكان هذا المنصب وراثياً لحصول والده على قيادة الرأي العام ورغبة الخليفة ومحبته اياه

ونكب المترجم في موت اخيه فقد فقد إرادته حتى خيف عليه من نتيجة مودية بحياته . هذا ولم يكن قد شاهده وقت موته ولا مشى خلف جنازته، وقيل له في ذلك فقال: اخشى من ذهاب نفسي اذا مشيت خلف الجنازة ؛ ومشى في جنازته فخر الملك المتوفى ٤٠٧ هـ وولده وحاشيته حفاة فصلوا عليه في داره واودعوه في تربة الامام موسى بن جعفر (ع)

ورثاه تلميذه مهيار الديلمي المتوفى ٤٢٨ هـ بقصيدة خالدة ومطلعها

---

(١) هي فاطمة بنت الحسين بن احمد بن الحسن بن الناصر الاصم ، وهو ابو محمد الحسن بن علي بن عمر الاشرف بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب [ع]

(٢) ابن ابي الحديد ج ١ ص ١٤ .

اقريش لالفم اراك ولايد فتواكلي غاض الندى وخلا الندي
خولست فالتقي بأوقص واستلي من بز ظهرك وانظري من ارمد

« منزلته »

لا اريد ان اكتب عن اكبر شخصية ظهرت في القرون الهجرية بصورة تفي بحقها أنى وقد اقترن ذكرها مع الدهر ودون التاريخ لها صحائف بيضاء قد كتبت باحرف من نور غير اني اوعز الى مافي وسع التنقيب من كلمات أئمة الفن .

فقد قال ابن الصوفي ابو الحسن علي بن محمد العلوي العمري النسابة في كتابه (انساب الطالبيين) عند ذكر آباء المترجم . قال : واما علي فهو الشريف الاجل المرتضى علم الهدى ابو القاسم نقيب النقباء الفقيه النظار المصنف بقية العلماء واوحد الفضلاء رأيته (ره) فصيح اللسان يتوقد ذكاءا ، ولما اجتمعنا سنة ٤٤٥ هـ (١) ببغداد قال: من اين طريقك فاخبرته ثم قلت

(١) يظهر من قول النسابة العمري انه مصحف لأن المرتضى توفى سنة ٤٣٦ هـ ويخبر انه اجتمع معه سنه ٤٤٥ هـ وفي معتقدي انه يريد سنة ٤٢٥ هـ اذ انه جاء بغداد في هذه السنة .

له: دع الطريق لما رأيت حيطان بغداد .

وقال ابن خلكان: كان المرتضى نقيب الطالبيين اماماً في علم الكلام والادب والشعر .

وقال ابن بسام في كتاب (الذخيرة): كان الشريف المرتضى امام أئمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق ، اليه فزع علماؤها ، وعنه اخذ عظماؤها ، صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وآنسها ، ممن سارت اخباره ، وعرفت به اشعاره ، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره ، الى تآليفه في الدين ، وتصانيفه في احكام المسلمين مما يشهد انه فرع تلك الاصول ، ومن اهل ذلك البيت الجليل .

وقال ابن الاثير مجد الدين الجزري المتوفى ٦٠٦ هـ في كتابه [مختصر تاريخ ابن خلكان] : ان السيد المرتضى ، كان نقيب الطالبيين اماماً في علم الكلام والادب والشعر ، وهو اخو الشريف الرضي ، وله تصانيف على مذهب الشيعة ، ومقالة في اصول الدين وديوان شعر كبير .

وذكر ايضاً في كتابه [جامع الاصول]: ان من ساد في القرن

الرابع على قول الشافعيـة ، هو ابو حامد احمـد بن ابي طاهر الاسفرايني ، و بقول علماء الحنفيـة ، ابو بكر محمد بن موسى الخوارزمي ، وباعتقاد المالكية ، ابو محمدعبدالوهاب بن نصر، و براوية الحنبلية ، ابو عبـد الله الحسين بن علي بن حامد ، و برواية علماء الشيعة الامامية ، الشريف المرتضى الموسوي .

وقال تلميذه شيخ الطائفة ابو جعفر الطوسي المتوفى ٤٦٠ هـ في كتاب [الفهرست] ان السيد المرتضى مجمع على فضـله ، مقدم فى العلوم ، مثل علم الـكلام والفقـه والاصول والادب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك .

وقال ابن شهر اشوب المازندراني السروي المتوفى ٥٨٨هـ في كتاب [معالم العلماء] المرتضى علم الهدى مقدم في كل العلوم ،

وقال العلامة الحلي : (١) للمرتضى مؤلفات استفادت الاماميه منذ زمنه الى زماننا وهو ٦٩٣ هـ وهو ركنهم ومعلمهم ، قدس الله روحه وجزاه الله عن اجداده .

[١] رجال العلامة ص ٤٦

وذكره الشهيد الاول المتوفى ٧٨٦ في مجموعته قال: كان نحيف الجسم وكان يقرأ مع اخيه على ابن نباته صاحب الخطب وهما طفلان ، وحضر المرتضى بمجلس المفيد فقام من موضعه واجلسه فيه وجلس بين يديه فاشار المفيد بأن يدرس في حضرته [حضوره] وكان يعجبه كلامه اذا تكلم .

وذكره الشيخ مرزة محمد في كتابه [نهج المقال] ص (٢٣١) انه عظيم له ديوان شعر يحتوي على عشرين الف بيت .

وقال العلامة الكبير : الشيخ محمد طه نجف المتوفى ١٣٢٣ﻫ في كتابه (١) انه حاز من العلوم مالم يدانه احد في زمانه سمع من الحديث فا كثر ، وكان متكلما شاعراً اديباً ، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا .

وذكره الفقيه الاكبر السيد حسن الصدر المتوفى ١٣٥٤ﻫ في كتابه (٢) انه من المتقدمين في علم الكلام . له كتب اليها المرجع وعليها المعول . انتهت اليه رئاسة الشيعة في الدين ، ولم يتفق لاحد ما

(١) اتقان المقال ص ٩٣ (٢) الشيعة وفنون الاسلام ص ٥٣

اتفق له من طول الباع والتحقيق في كل العلوم الاسلامية ؛ ومن غلمانه ذربي بن اعين العالم المتبحر صنف في الـكلام كتاباً سماه (عيون الادلة) في اثني عشر جزءاً ليس اكبر منه في بابه ، وذكره عامة المترجمين كالسيد علي خان الشيرازي المتـوفى ١١٢٠ في كتاب (الدرجات الرفيعة) والشيخ سليمان الماحوزي الاوالي المتوفى ١١٢١ ه في كتابه (بلغة الرجال) والشيـخ ابو علي الرجالي المتوفى ١٢١٥ ه في (رجاله) وغيرهم من الجهابذة .

« اباؤه وكرمه »

كان الشريف المرتضى [ره] عالي الهمـة ابي النفس كريم الطبع ، فقد روى لنا الخطيب التبريزي المتوفى ٥٠٢ ه قال : ان ابا الحسن علي بن احمد بن علي بن سلك الفالي (٣) كانت

(٣) نسبة الى فاله [بالفاء] وهي بلدة بخورستان قريبة من ايذج وقد اقام بالبصرة مدة طويلة وسمع بها من ابي عمر وبن عبد الواحد الهاشمي ، وابي الحسن بن النجار ، وشيوخ ذلك الوقت ؛ وقـدم بغداد واستوطنها وحدث بها ، وتوفي في شهر ذي القعدة ثامن منه الموافق ليلة الجمعة ٤٤٨ ه ودفن في مقبرة جامع المنصور ، واما جده سلك فهو بفتح السين المهملة وتشديد اللام وفتحها وبعدها كاف .

عنده نسخة من كتاب (الجمهرة) لابن دريد المتوفى ٣٢١ ﻫ في غاية الجودة قديمة فدعته الضرورة الى بيعها فاشتراها المرتضى منه بستين ديناراً وتصفحها فوجد بها ابياتاً بخط بائعها وهي :

انست بها عشرين حولا وبعتها ... لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني انني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل عيوني
فقلت ولم املك سوابق عبرة ... مقالة مكوي الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا ام مالك ... كرائم من رب بهن ضنين

فلما قرأها ارجع النسخه وترك الدنانير (١) .

وذكر ابو القاسم في تأريخه [اتحاف الورى بأخبار ام القرى] في حوادث سنة ٣٨٩ ﻫ قال : فيها حج الشريفان المرتضى والرضي فاعتقلهما ابن البراج الطائي فاعطياه تسعة آلاف دينار من مالهما.

وقال الخونساري في كتابه (٢) كان المرتضى مثرياً يلقب بابي الثمانيني . لانه احرز من كل شيء ثمانين حتى انه كان من الصدف

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٣٣٧ [٢] روضات الجنات ج ٣ ص ٣٤ – ٣٩

ان عمره ثمانون سنة وثمانية اشهر .

« شعره وأدبه »

لا نريد ان نبرهن على شاعرية المرتضى وادبه ، فقد ذكر المترجمون كلهم ان له ديوانا يزيد على عشرين الف بيت من الشعر ، وعده جملة من المترجمين في عداد الشعراء . ولا بدع فقد اشتهر عن بعض العظماء ان المرتضى اشهر اهل زمانه لو لم يكن الرضي اخاه ، والرضي اعلم اهل زمانه لو لم يكن المرتضى اخاه فهو معدود في الرعيل الاول من الشعراء كما انه مذكور في علية الفقهاء والمتكلمين واللغويين والنحاة لانه حاز قصب السبق في كل مضمار ، واليك شيئاً من شعره .—

ضن عني بالنزر اذ أنا يقظا ن واعطى كثيره في المنام
والتقينا كما اشتهينا ولا عيب سوى ان ذاك في الاحلام
واذا كانت الملاقاة ليلا فالليالي خير من الايام

(ومن شعره)

ياخليلي من ذؤابة قيس في التصابي رياضة الاخلاق

عللاني بذكرهم تطرباني　　واسقياني دمعي بكاس دهاق

وخذ النوم من جفوني فاني　　قد خلعت الكرى على العشاق

ولهذا البيت قضية مع ابن المطرز الشاعر حينما كان المرتضى جالساً في عليةله ، وقداخرج رأسه من نافذتها فرءا ابن المطرز يجر نعالا باليةوهي تثير الغبار . فامر باحضاره وقال له انشد ابياتك التي تقول فيها

سرى مغرماً بالعيش ينتجع الركبا

يسايل عن بدرالدجى الشرق والغربا

على عذبات الجزع من ماءتغلب　　غزال يرى ماء القلوب له شربا

اذا لم تبلغني اليكم ركائبي　　فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فلما انشده اياها وانتهى الى هذا البيت اشار الشريف الى نعله البالية وقال: اهذه كانت من ركائبك ، فاطرق ابن المطرز ساعة ثم قال : لما عادت هبات سيدنا الشريف الى مثل قوله .

وخذ النوم من جفونى فاني　　قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ماترى . لأنك خلعت مالا تملكه

على من لا يقبل ، فاستحسن جوابه وامر له بجائزة فاعطوه اياها.
ومن شعره ماذكره صاحب [جنان الجنان ورياض الاذهان] الرشيد ابو الحسين احمد المعروف بابن الزبير الغساني المتوفى ٥٦٣ﻫ قوله.

بيني وبين عواذلي　　في الحب اطراف الرماح
انا خارجي في الهوى　　لاحكم إلا للملاح

(ومن شعره)

قل لمن خده من اللحظ دام　　رق لي من حوائج فيك تدمى
ياسقيم الجفون من غير سقم　　لاتلمني ان مت منهن سقما
انا خاطرت في هواك بقلب　　ركب البحر فيك إما وإما

ولا اريد ان اعود في الكتابة عن شاعرية المرتضى اذ اشتهر عن جامع ديوان المرتضى انه قال سمعت بعض شيوخنا يقول ليس لشعر المرتضى عيب الا كون الرضي اخاه فاذا افرد بشعره كان اشعر اهل زمانه

« مجلسه ومناظراته »

المجالس روح الاجتماع وبها تعرف الامم الراقية من

المنحطة فيما اذا كانت ذات انتاج وتوليد بان تكون كمدارس يتخرج منها طائفة من الرجال في كل عام قد حصلوا على قسط وافر من نضوج الفكر ، واتساع دائرة العقل ، وتشحيذ الذهن ، وخفة الطبع ، واقتزاز الشعور ، لان توليد هذه الامور واجب المدارس والمجالس مدارس . فاذا صح هذا تحتم على كل بارز على اقرانه ان ينشأ مجلساً للغاية المنشودة ، وهذا الرأي هو متفق عليه ومعمول به في كل قرن ومنه حدثت المناضرات اذ بها تبرز الشخصيات وتنموا العقليات ، فمن المجالس العظيمة في الثلث الاخير من القرن الرابع والثلث الاول من القرن الخامس ، مجلس السيد المرتضى اذ كان مركزاً لذوي المعقول وأئمة الادب ، وقد نشأت فيه مناظرات ذات قيمة . فمن جملة المناظرات التي وقعت فيه مناظرة لصاحبه مع فيلسوف الشعراء ابي العلاء المعري المتوفى ٤٤٩ﻫ ولم يكن ابو العلاء غريبا عن صاحبه . فان هناك صلة متينة قوية ، وهي ان والد المعري رثى والد المرتضى حين توفى سنة ٤٠٠ ﻫ ولكن حدا الجهبذين

الى المناضرة تعصب احدهما للدين والآخر لشخصية شاعر كبير وهو المتنبي ، وفوق ذلك ان المرتضى يمقته ويبدي سقطاته . فثارت عواطف ابي العلاء للدفاع عنه ، وقال بعد جدال طويل : لولم يكن للمتنبي الا قوله: [لك يامنازل في القلوب منازل] لكفاه . فغضب المرتضى وامر باخراجه ، وقيل سحبوه من رجله حتى اخرجوه ، ثم قال المرتضى لمن حضر : اتدرون لم اختار الأعمى هذه القصيدة دون غيرها ، وانما للمتنبي قصائد اجود واحسن منها ؟ قالوا لا قال انما عارض بقوله:

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل .

ولاعجب فان حذق ابي العلاء يفضي إلى اعمق من هذا في التعريض ، وفهم المرتضى يقوى على استخراج اعوص المسائل في النقد ، ومن مناضراته الفلسفية معه . انه دخل يوماً على المرتضى فعثر برجل مهور في المجلس فرفع رأسه وقال لابي العلاء من هذا الكلب . فقال له ابوالعلاء الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً . فلما رأى ذلك منه اجلسه بجانبه وسأله عن اشياء

ثم تطور الحديث حتى انجر الى فلسفة التكوين . فقال له ابو العلاء ما قولك في الكل (المرتضى) ما قولك في الجزء (ابو العلاء) ما قولك في الشعرى (المرتضى) ما قولك في التدوير (ابو العلاء) ما قولك في عدم الانتهاء (المرتضى) ما قولك في التحيير والناعورة (ابو العلاء) ما قولك في السبع (المرتضى) ما قولك في الزايد البري على السبع (ابو العلاء) ما قولك في الاربع (المرتضى) ما قولك في الواحد والاثنين (ابو العلاء) ما قولك في التحسين (المرتضى) ما قولك في السعدين ، فعند ذلك خرج ابو العلاء متحيراً . فقال المرتضى الا كل ملحد ملهد اي زائغ عن الطريق -

وقد ذكر ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب المعروف بالشيخ الطبرسي في كتاب (الاحتجاج) هذه المناظرة واثبت شرح المرتضى لها .

وجرى شجار بينه و بين ابي العلاء في حد السارق الذي قرره القانون المحمدي ، وامر به الشارع المقدس . قال ابو العلاء :

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض مالنا الا السكوت له ... وان نعوذ بمولانا من النار

فاجابه المرتضى على الفور قائلا

عز الامانة اغلاها وارخصها ... ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

والبيتان المتقدمان من قصيدة طويلة مدح بها المرتضى حين ماخرج من بغداد خروجه الثاني اعني سنة ٣٩٩ ﻫ ومنها قوله : من بحر البسيط .

ياسائلي عنه لما جئت اسأله ... الا هو الرجل العاري عن العار
لو جئته لرأيت الناس في رجل ... والدهر في ساعة والارض في دار

ومناضراته مع العلماء كثيرة ونوادره اكثر ، وقد ضمن ذلك كتابه [الأمالي] المطبوع بمصر .

« وفاته »

اقتطفت يد المنون روح المرتضى ببغداد في شهر ربيع الاول سنة ٤٣٦ ﻫ وصلى عليه ابنه في داره ودفن بها وتولى غسله ابو الحسين احمد بن الحسين النجاشي ، ومعه الشريف ابو يعلى

محمد بن الحسن الجعفري ، وسلار بن عبد العزيز الديلمي المتوفى ٤٤٨ ﻫ وقال ابن شهر اشرب المازندراني في كتاب [معالم العلماء] انه توفي ٤٣٣ ﻫ وانفرد هو بهذا القول ، واعتقد انه لم يوافقه احد على هذا لأن المؤرخين تسالموا على ماتقدم ، وعمره حين توفي ثمانون سنة وثمانية اشهر ، وقبره الآن معروف بمدينة الكاظمية .

« آثاره العلمية »

استطاع المرتضى ان يجمع ثلثمائة الف كتاب في عصر ندرة الكتب وعزها ؛ ومؤلفاته كثيرة وآثاره قيمة واليك بيان اسماء بعض ما عرفناه منها (١) الشافي في الامامة ضخم الحجم ط (٢) الملخص في الاصول (٣) جمل العلم والعمل (٤) الغرر والدرر [*] ط (٥) تكملة العزيز

[*] قال عنه ابن خلكان: هي مجالس املاها تشتمل على فنون من معاني الادب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك ، وهو كتاب ممتع يدل على فضل كثير وتوسع فى الاطلاع على العلوم ،

(٦) تنزيه الانبياء ، ط ٢ (٧) المسائل الموصلية وهي واحدة من الثلاث ، وهي المسائل في الوعيد والقياس والاعتماد (٨) مسائل اهل الموصل الثانية (٩) مسائلهم الثالثة (١٠) المقنع في الغيبة ، وقد صنفه للوزير المغربي المتوفى ٤١٨ ﻫ (١١) مسائل الخلاف في الفقه لم يتمه (١٢) مسائل الخلاف في اصول الفقه لم يتمها (١٣) ماتفرد به الامامية في الاصول الفقهية (١٤) مسائل مفردات في اصول الفقه (١٥) المصباح في الفقه لم يتمه (١٦) المسائل الطرابلسية (١٧) الادلة (١٨) المسائل الطرابلسية الاخيرة (١٩) المسائل الحلبية في الادلة (٢٠) مسائلهم الاخيرة (٢١) المسائل الديلمية في الفقه (٢٢) المسائل الناصرية في الفقه (٢٣) المسائل الجرجانية (٢٤) المسائل الصيداوية (٢٥) المسائل المتباينات (٢٦) المسائل الطوسية [الطولية] لم يتمها (٢٧) الذريعة الى اصول الشريعة (٢٨) الموضح ، في اعجاز القرآن (٢٩) اوصاف الطيف والخيال (٣٠) المزهوف في اوصاف الرؤف (٣١) الشيب والشباب

(٣٢) تتبع الابيات التي تكلم عليها ابن جني المتوفى ٣٩٢ هـ في اثبات المعاني للمتنبي المتوفى ٣٥٤ هـ (٣٣) النقض على ابن جني في الحكاية والمحكي (٣٤) تفسير القصيدة المذهبة للسيد الحميري المتوفى ١٧٣ هـ (٣٥) الفقه المكي، مختصر، (٣٦) الفرايض في نقض الرؤية وابطال القول بالعدد (٣٧) الرسالة الباهرة في العترة الطاهرة (٣٨) المسائل السلارية (٣٩) مسائل وايات (٤٠) مسائل ميافارقين ، [*] وهي خمسة وستون مسئلة (٤١) المسائل الرازية وهي اربعة عشر مسئلة (٤٢) مسائل مفردات نحوما ئة في فنون شتى نحو المنع من تفضيل الملائكة على الانبياء [٤٣] نقض مقالة يحيى بن عدي النصراني المنطقي المتوفى ٣٦٤ هـ فيما لاينتهي [٤٤] جواب الملاحدة في قدم العالم [٤٥] في احوال المنجمين [٤٦] انكاح امير المؤمنين ابنته ابن عمر (٤٧) تتمة انواع الاغراض من جمع ابي رشيد النيسابوري [٤٨] الخطبة

[*] ميافارقين بفتح الميم وتشديد الباء الموحدة والفاء بين الالفين وبعدها الراء والقاف وياء ونون ، مدينة كبيرة في الجزيرة ، من انساب السمعاني .

العصمة [٤٩] الحدود (٥٠) الحقايق [٥١] انقاذ البشر من الجبر والقدر ، وهو هذا الكتاب ، وقد ذكر هذه الكتب والرسائل ابن شهر اشوب المازندراني في كتابه [*] وقال صاحب كتاب « عمدة النسب » ان كتبه تحتاج الى سبعمائة بعير لتحملها ، وقد كتبنا عنه مفصلا في كتابنا تراجم « ابطال القرون الهجرية » وذكرنا عدة من مناظراته ؟

علي الخاقاني النجفي

عضو منتدى النشر

[*] معالم العلماء ، مخطوط ،

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ رسالتنا هذه بالحمد لله ربنا على نعمه الواصلة الينا ؛ وعلى احسانه المتقدم علينا ؛ اذا اصبحنا بتوحيده وعدله قائمين ولمن جوره في حكمه عائبين ؛ ولمعاصينا عليه غير حاملين ؛ و بآثار أئمة الهدى مقتدين ؛ و بالمحكم من كتابه وآياته متمسكين فالحمد لله الذي اختصنا بهذه النعمة ؛ وشرفنا بهذه الفضيلة ؛ وصلى الله على محمد خاتم النبيين ؛ ورسول رب العالمين ؛ الذى جعله رحمة للعباد اجمعين ؛ واستنقذ به من الهلكة ؛ وهدى به من الضلالة ، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيما فبلغ عن ربه ، واجتهد في طاعته ، حتى اتاه اليقين ؛ وعلى آله الطاهرين .

« سألت » اعزك الله وارشدك املاء رسالة في القدر ؟ فقد جالت به الفكر ؛ واكثرها عن معرفته قد انحسر ؛ وذكرت ان الذي حداك الى ذلك ما وجدته ظاهراً في عوام النبل ؛

ومعظم خواصها من القول المؤدي الى الكفر المحض بسبب الجبر وتجويرهم الله في حكمه ، وحملهم معاصيهم عليه ، واضافتهم القبايح اليه ، وتعلقهم باخبار مجهولة منكرة اومتشابهة في اللفظ مجملة وحجاجهم بما تشابه من الكتاب لعدم معرفتهم بفايدته،وقصور افهامهم عن المقصود به .

واعلم ان الكلام في القضاء والقدر ، قد اعيي اكثر اهل النظر واتعب ذوي الفكر ، والمتكلم فيه بغير علم على غاية من الخطر والذي يجب على من اراد معرفة في هذ الباب :هو العلم بما يستحق الباري من الأوصاف الحميدة ، وما ينفي عنه من ضدها . فانه متى علم ذلك امن من ان يضيف اليه ماليس من اوصافه او ينفي عنه ماهو منها ، ويتبع ذلك من الابواب ما لابد من الوقوف عليه نحو المعرفة باقوال المبطلين ، ومعرفة اقوال المحقين ، وغير ذلك مما سنبينه فيما بعد انشآء الله تعالى.

« حدوث البحث في افعال العباد »

واعلم ان اول حالة ظهر فيها الكلام وشاع بين النـاس في

هذه الشريعة ، هو ان جماعة ظهر منهم القول باضافة معاصي العباد الى الله سبحانه ، وكان الحسن بن ابي الحسين البصري ممن نفى ذلك ، ووافقه في زمانه خلق كثير من العلماء كلهم ينكرون ان تكون معاصي العباد من الله ، منهم معبد الجهني (١) وابو الاسود الدؤلي (٢) ومطرف بن عبد الله (٣) ووهب بن

[١] معبد بن عبد الله بن عليم الجهني ، هو اول من قال بالقدر في البصرة ، وقد غالى في اثبات القدرة الانسان وانه لايحتاج الى معونة الهية في اعمالها . تبعه اهل البصرة ، فعذبه الحجاج وصلبه سنة ٨٠ ه بامر عبد الملك ، وقد كان يروي حديث الدباغ . [٢] ابو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي . واضع علم النحو بامر الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ع ، واختلف في اسمه كثيراً ، وقد بينا تفصيل ذلك في كتابنا (ابطال القرون الهجرية) ولد سنة ١٦ ق ه وتوفي سنة ٦٩ ه كان من الشعراء المجيدين ، وله ديوان شعر من وجوه الشيعة الامامية ومن سادة التابعين واعيانهم . ثقة في الحديث روى عن طائفة من الصحابة كالامام امير المؤمنين علي والخليفة عمر وعبد الله ابن عباس وابي ذر وغيرهم . [٣] مطرف بن عبد الله بن الشخير توفي في طاعون الجارف بالبصرة سنة ٧٨ ه ابن الاثير ج ٤ ص ٢٠٣

منبه (٤) وقتادة ، وعمرو بن دينار (٥) ومكحول الشامي (٦) وغيلان (٧) وجماعة كثيرة لا تحصى ، ولم يك ما وقع من الخلاف حينئذ يتجاوز باب صفات (اضافة) معاصي العباد الى الله سبحانه عن ذلك ونفيها عنه وغيره من هذا الباب: بيان

---

[٤] وهب بن منبه الصنعاني له معرفة باخبار الاوائل وقيام الدنيا واحوال الانبياء وسير الملوك ، ومؤلفاته في ذلك كثيرة ولد بصنعاء اليمن سنة ٢٣ هـ وتوفي بها سنة ١١٣ هـ وكان اصغر من اخيه همام وكانوا خمسة اخوة «١» همام «٢» وهب (٣) غيلان «٤» عقيل «٥» معقل . [٥] عمرو بن دينار البصري قهرمان ال الزبير . وهو مولى ال الزبير وليس بابن العوام بل الزبير بن شعيب يكنى ابا يحيي ، روى عن سالم بن عبد الله وصيفي بن مهيب ، وقد ضعفه النسائي صاحب السنن وتوقف فيه البخاري صاحب الصحيح ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٨٧ . [٦] مكحول الشامي مولى لامرأة من هذيل ، كان في لسانه عجمة ظاهرة يبدل من الجيم زايا ومن الشين سيناً وهذه العجمة تغلب على اهل السند لانه سندي ، توفي ١١٦ هـ وله من الكتب ، السنن في الفقه ، المسائل في الفقه .

(٧) هو ذو الرمة ابو الحارث [غيلان] بن عقبه بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره ؟ وكان شديد القصر دميماً ، يضرب لونه الى السواد . وا كثر شعره تشبيب، وعشق مية المنقرية واشتهر . له ديوان شعر ط ولد ٧٧ وتوفي باصبهان ١١٧ هـ

القدرة والمقدور وما اشبهه .

« الاقوال في كيفية خلق الافعال »

فاما الكلام في خلق افاعيل العباد في الاستطاعة وفيما اتصل بذلك وشا كله فانما حدث بعد دهر طويل ، ويقال ان اول من حفظ عنه القول بخلق افاعيل العباد جهم بن صفوان فانه زعم ان مايكون في العبد من كفر وايمان ومعصية فالله فاعله كما فعل لونه وسمعه وبصره وحيوته وانه لافعل للعبد في شيء من ذلك ولا صنع، والله تعالى صانعه ، وان لله تعالى ان يعذبه من ذلك على مايشآء ويثيبه على مايشآء .

وحكى عنه علمآء التوحيد انه كان يقول مع ذلك : ان الله خلق في العبد قوة بها كان فعله، كما خلق له غذاء يكون به قوام بدنه ولا يجعل العبد كيف يصرف حاله فاعلا الشيء على حقيقة، فاستبشع من قوله اهل العدل وانكروه مع اشيآء. اخر حكيت عنه ، ولما احدث جهم القول بخلق افعال العباد قبل ذلك ضرار بن عمرو بعد ان كان يقول بالعدل ، فانتفت عنه

المعتزلة واطرحته تخلط عند ذلك تخليطاً كثيراً، وقال بمذاهب خالف فيها جميع اهل العلم، وخرج عما كان عليه واصل بن عطآء [٢] وعمرو بن عبيد [٣] بعد ما كان يعتقد فيهما من العلم وصحة الرأي، لأنه كان في الاول على رأيهما بل صحبهما واخذ عنهما، ثم تكلم الناس بعد ذلك في الاستطاعة ، فيقال ان اول من اظهر القول بأن الاستطاعة مع الفعل يوسف السمني [٤] وانه استزله الى ذلك بعض الزنادقة فقبله عنه ، ثم قال بذلك حسين

[١] ابو حذيفة واصل بن عطآء المعتزلي يعرف بالغزال ، مولى بني ضبه وقيل بني مخزوم اليه تنتمي الفرقة الواصلية من المعتزلة ولد بالمدينة ٨٠ هـ وتوفي بها ١٨١ هـ [٢] عمرو بن عبيد المعتزلي من الزهاد توفي ١٤٣ هـ ابن الاثير ج٥ص١٩٠ . [٣] يوسف ابن خالد السمني روى عن عاصم الاحول واسماعيل بن ابي خالد وروى عنه نصر بن علي وزيد بن الحريش ، قال ابوحاتم رأيت له كتاباً وضعه في التهجم ينكر فيه الميزان والقيامة توفي في رجب ١٨٩ هـ ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٣٠ .

النجار [١] وانتصر لهذا القول ووضع فيه الكتب، فصارت مذاهب المجبرة بعد ذلك على ثلاثة اقاويل [احدها] ان الله تعالى خالق فعل العبد وليس للعبد في ذلك فعل ولا صنع وانما يضاف اليه لانه فعله كما يضاف اليه لونه وحيوته وهو قول جهم، (الثاني) ان الله تعالى خلق فعل العبد وان العبد فعله في استطاعة في العبد متقدمة وهو قول ضرار [٢] ومن وافقه ،

[١] ابو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، من مشايخ المجبرة ومتكلميهم ، وكان اذا تكلم كأن كلامه صوت الخفاش، له مع النظام مجالس ومناظرات ، وله كتب كثيرة مايقرب من ثلاثين كتاباً ذكرها ابن النديم في (الفهرست) ص ٢٢٥ .

[٢] ضرار بن عمرو ، رأس المرجئة واليه تنسب الطائفة الضرارية وقد اختلف في مذهبه فقد عده صاحب [خبيئة الا كوان] من الجبرية ولم يورد عنه مايشعر بذلك ، وعده الشهرستاني في كتابه [الملل والنحل] ص «٦٣» معطلا ونسب اليه القول بان افعال العباد مخلوقة لله واكساب للعباد وان للانسان حاسة

(الثالث) ان الله خلق فعل العبد وان العبد فعله باستطاعة حدثت له في حال الفعل لايجوزان تتقدم الفعل وهو قول النجار و بشر المريسي(١)ومحمد بن غوث ويحيي بن كامل(٢) وغيرهم من متكلمي المجبرة نحو الاشاعرة وغيرهم ، ثم تكلم الناس بعد ذلك فيما اتصل بهذا من ابواب الكلام في العدل واختلفوا

سادسة يرى بها الله يوم الثواب في الجنة ، وعده ابن حزم من اقرب المعتزلة الى اهل السنة .

[١] ابو عبد الرحمن ، بشر بن غياث المريسي ، فقيه متكلم كان مرجئاً واليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة نسبة الى درب المريس ببغداد توفي ٢١٨ هـ ابن الأثير ج ٦ ص١٤٩ . [٢] ابو علي يحيي بن كامل بن طليخة الخدري ، وكان اولا من اصحاب بشر المريسي ومن المرجئة ثم انتقل الى مذهب الاباضية وله من الكتب : كتاب المسائل التي جرت بينه و بين جعفر بن حرب ، وتعرف بالجليلة ، كتاب المخلوق، كتاب التوحيد والرد على الغلاة .

فيه اختلافاً كثيراً ، والكلام في ذلك اوسع ابواب العلم ، ونحن نورد لك في هذا المعنى مايتحصل به الغرض ، وتنحسم به شبه الخصوم ونجعله ملخصاً وجيزاً بلفظ مهذب ، والى الفهم مقرب ، ونبتدىء في اوله بوصف دعوة اهل الحق في ذلك ونردفها بما يجب ، وقد وسمنا هذه الرسالة بـ [انقاذ البشر من الجبر والقدر] وها نحن مبتدؤن بذلك ومستعينون بمن له الحول والقوة وهو حسبنا ونعم الوكيل ،

« دعوة اهل الحق »

(فصل) في دعوة اهل الحق وبيانها ، قالت عصبة اهل الحق وان الله جل ثنائه اصطفى الاسلام ديناً ورضيه لعباده واختاره لخلقه ولم يجعله موكولا الى رأيهم ، ولا جاريا على مقادير اهوائهم ، دون ان نصب له الادلة ، واقام عليه البراهين ، وارسل به الرسل ، وانزل به الكتب ، ليهلك من هلك عن بينه ، ويحيى من حي عن بينه ، وللاسلام حدود ، وللقيام به حقوق ، وليس كل من ادعى ذلك اخذه ، ولا كل من

انتسب اليه صار من اهله ، وقد علمنا ان اهل القبلة اختلفوا في امور صاروا فيها الى خلال ، فضلل بعضهم بعضاً ، وكفر بعضهم بعضاً ، وكل يدعي ان ماذهب اليه من ذلك وانتحله هو دين الله ودين رسوله (ص) ، ومعلوم عند كل عاقل ان ذلك كله على اختلافه لا يجوز ان يكون حقاً لتضاده واختلافه، ولا بد حينئذ من اعتبار ذلك وتمييزه ليتبع منه الحق ، ويجتنب منه الباطل ، وقد علمناه بالادلة الواضحة ، والبراهين الصحيحة التي يوافقنا عليها جميع فرق اهل الملة ، وابطل قول كل من خالف جملة الاسلام ماجاء به القران ، وصح عن الرسول (ص)، فاذا كان الامر كذلك وجب ان يكون كل من قال من الأمة قولا يكون عند الاعتبار والنظر خارجاً مما يوجبه الاسلام ويشهد به الرسول «ص» والقران، موجباً لان يكون معتقده ليس من جملة الاسلام على سبيل قوة واستبصار لقوله بما لا يصح اعتقاده الاسلام معه ولا يوصل الى معرفته ، نعم القول به ، فهو محجوج في مذهبه ، ومبطل في قوله ، ومبتدع في

الاسلام بدعة ليست من دين الله ولا من دين رسوله . قالوا:
وقد تدبرنا ما اختلف فيه اهل القبلة بفطرة عقولنا وعرضنا
ذلك على كتاب الله سبحانه وسنة نبينا(ص)فوجدنا الحق بذلك
متميزاً من الباطل تمييزاً يدركه كل من تدبر الكتاب والسنة
بفكره وميز الأمور بعقله ولم يجعل هواه قائداً له و [لا] تقليد
من لاحجة في تقليده ، فرأينا من الواجب علينا في الدين
ان نبين امر ذلك للناس ولا نكتمه وان ندعوهم الى الحق
ونحتج له ولا نتشاغل عن ذلك ونعرض عنه ، ونحن نرى
ماحدث من البدع ، وخواف من سبيل السلف ، وكيف يجوز
الاعراض عن ذلك والله تعالى يقول (ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك
هم المفلحون) وقال: (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .
كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون).
قالوا واي منكر افحش ، واي معصية اعظم من تشبيه الله

بخلقه ، ومن تجويره في حكمه ، ومن سوء الثناء عليه واضافة الفواحش والقبايح اليه ، وكيف لا يكون كذلك وفي القول بالتشبيه والاجبار .الانخلاع عن معرفة الله تعالى ومعرفة جميع رسله اذ كل من شبه الله بشيء من خلقه لم يتهيأ له ان يثبت الله قديماً ; وقد اثبت له مثلا محدثاً ، وفي ذلك عدم العلم بالصنع والصانع والرسول والمرسل، وان من اجاز على الله جل وعلا فعل الظلم والكذب وارادة الفواحش والقبايح لم يمكنه ان يثبت لرسول من رسل الله [تع] معجزة اقامها الله [تع] لهداية الخلق دون اضلالهم ولا لرشدهم دون اغوائهم ، وفي ذلك سقوط العلم بصدق الرسل فيما دعت اليه وذلك يوجب ان لا يكون معتقداً ولا لازم الاجبار على [الاخبار عن خ] ثقة وتيقن من صدق الرسل ، ولا صحة الكتب ، ولا كون الجنة والنار ، وهذا هو الخروج من دين الاسلام والانخلاع عن دين محمد (ص) .

قالوا : ونحن نصف قولنا ونذكر دعوتنا فليتدبر ذلك السامع

منا ، وليتأمل به قول غيرنا فانه سيعلم [ان كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد] اينا اهدى سبيلا ، واقوم قيلا ، واولى بالتمسك بالكتاب والسنة ، واتباع الحجة ، ومجانبة البدعة .

فاول ذلك ان نقول ان الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والاسلام ديننا ، والقرآن امامنا ، والكعبة قبلتنا ، والمسلمون اخواننا ، والعترة الطاهرة من آل رسول الله (ص) وصحابته والتابعين لهم باحسان سلفنا وقادتنا ، والمتمسكون بهديهم من القرون بعدهم جماعتنا واولياؤنا ، نحب من احب الله ، ونبغض من ابغض الله ، ونوالي من والى الله ، ونعادي من عادى الله ، ونقول فيما اختلف فيه اهل القبلة باصول نشرحها ونبينها ، فاولها توحيد الربنا فانا نشهد ان الله عزوجل واحد ليس كمثله شيء وانه الاول قبل كل شيء ، والباقي بعد فناء كل شيء ، والعالم الذي لا يخفى عليه شيء ، والقادر الذي لا يعجزه شيء ، وانه الحي الذي لا يموت ، والقيوم الذي لا يبيد ، والقديم الذي لم يزل ولا يزال حياً سميعاً بصيراً عالماً قادراً غنياً غير محتاج الى مكان ولا زمان ولا اسم ولا

صفة ولا شيء من الاشيآء على وجه من الوجوه ولا معنى من المعاني قد سبق الاشيآء كلها بنفسه ، واستغنى عنها بذاته ، ولا قديم الا وحده سبحانه وتعالى عن صفات المحدثين ، ومعاني المخلوقين ، وجل وتقدس عن الحدود والاقطار ، والجوارح والاعضاء ، وعن مشابهة شيء من الاشيآء او مجانسة جنس من الاجناس ، او مماثلة شخص من الاشخاص ، وهو الاله الواحد الذي لاتحيط به العقول ، لا تتصوره الاوهام ، ولا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ، الذي يعلم مايكون قبل ان يكون ، ويعلم ما كان وما سيكون وما لايكون لو كان كيف كان يكون ، قداحاط بكل شيء علماً ، واحصى كل شيء عدداً ، وعلم الاشيآء كلهابنفسه من غير علم احدثه ، ومن غير معين كان معه ، بل علم ذلك كله بذاته التي لم يزل بها قادراً عالماً حياً سميعاً بصيراً ، لانه الواحد الذي لم يزل قبل الاشياء كلها ، ثم خلق الخلق من غير فقر ولا حاجة ، ولا ضعف ولا استعانة ، من غير ان يلحقه

لحدوث ذلك تغيير، او يمسه لغوب، او ينتقل به الى مكان، او يزول به عن مكان اذ كان جل شأنه لم يزل موجوداً قبل كل مكان، ثم حدثت الاماكن وهو على ما كان فليس يحويه مكان ، وقد استوى على العرش بالاستيلاء والملك والقدرة والسلطان ، وهو مع ذلك بكل مكان آله عالم ، مدبر قاهر ، سبحانه وتعالى عما وصفه به الجاهلون ، من الصفات التي لا تجوز الا على الاجسام من الصعود والهبوط ، ومن القيام والقعود ، ومن تصويرهم له جسداً ، واعتقادهم اياه مشبها ، يدركونه بابصارهم ، ويرونه بعيونهم ، ثم يصفونه بالنواجذ والاضراس ، والاصابع والاطراف ، وانه في صورة شاب امرد ، وشعره جعد قطط ، وانه لا يعلم الاشياء بنفسه ، ولا يقدر عليها بذاته ، ولا يوصف بالقدرة على ان يتكلم ولا يكلم احداً من عباده ، تعالى الله عما قالوا ، وسبحانه عما وصفوا ، بل هو الأله الواحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، العليم القدير ، الذي كلم موسى تكليما ، وانزل القرآن تنزيلا ، وجعله ذكراً محدثا من احسن الحديث ، وقرأناه عربياً

من احسن الكلام . وكتاباً عزيزاً من افضل الكتب . انزل بعضه قبل بعض . واحدث بعضه بعد بعض . وانزل التوراة والانجيل من قبل . وكل ذلك محدث كائن بعد ان لم يكن . والله قدير قبله لم يزل ، وهو رب القرآن وصانعه وفاعله ومدبره، ورب كل كتاب انزله ، وفاعل كل كلام كلم به احداً من عباده. والقرآن كلام الله ووحيه . وتنزيله الذي احدثه لرسوله وجعله هدى . وسمى نفسه فيه بالاسماء الحسنى ووصفها فيه بالصفات المثلى ليسميه بها العباد . ويوصفوه بها ويسبحوه ويقدسوه . ولا آله الا الله وحده . ولا قديم الا الله دون غيره من كل اسم وصفة . ومن كل كلام وكتاب . ومن كل شي جاز ان يذكره ذاكر . اويخطره على باله مفكر . هذا قولنا في توحيد ربنا .

« دعوة اهل الحق في العدل »

فاما قولنا في عدله وهو المقصود من هذا الكتاب ، وانما اوردنا معه غيره لأنا اردنا ايراد جملة الاعتقاد ، فانا نشهد انه العدل الذي لايجور ، والحكيم الذي لايظلم ولا يظلم ، وانه

لا يكلف عباده مالا يطيقون ، ولا يأمرهم بمالا يستطيعون، ولا يتعبدهم بما ليس لهم اليه سبيل . لأنه احكم الحاكمين ، وارحم الراحمين، الذي امرنا بالطاعة، وقدم الاستطاعة ، وازاح العلة ونصب الأدلة ، واقام الحجة ، واراد اليسر ولم يرد العسر ، فلا يكلف نفساً الا وسعها ، ولا يحملها ماليس من طاقتها ، ولا تزر وازرة وزر اخرى ، ولا يؤاخذ احداً بذنب غيره ولا يعذبه على ما ليس من فعله ، ولا يطالبه بغير جنايته وكسبه ولا يلومه على ما خلقه فيه ، ولا يستبطئه فيما لم يقدره عليه ، ولا يعاقبه الا باستحقاقه ، ولا يعذبه الا بما جناه على نفسه ، واقام الحجة عليه فيه ، المنزه عن القبائح ، والمبرأ عن الفواحش والمتعال عن فعل الظلم والعدوان ، وعن خلق الزور والبهتان الذي لا يحب الفساد ، ولا يريد ظلماً للعباد ، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجراً عظيما ، وكل فعله حسن ، وكل صنعه جيد ، وكل تدبيره حكمة ، سبحانه وتعالى عما وصفه به القدرية المجبره المفترون !

الذين اضافوا اليه القبائح ، ونسبوه الى فعل الفواحش ، وزعموا ان كل ما يحدث في العباد من كفر وضلال ، ومن فسق وفجور ومن ظلم وجور ، ومن كذب وشهادة زور ، ومن كل نوع من انواع القبائح ، فالله تعالى فاعل ذلك كله ، وخالقه وصانعه ، والمريد له ، والمدخل فيه ، وانه يامر قوماً من عباده بما لا يطيقون ، ويكلفهم بما لا يستطيعون ، ويخلق فيهم ما لا يتهيأ لهم الا متناع منه ، ولا يقدرون على دفعه ، مع كونه على خلاف ما امر به ، ثم يعذبهم على ذلك في جهنم بين اطباق النيران خالدين فيها ابداً ، ويزعم منهم قوم انه يشرك معهم في ذلك العدل الاطفال والصغار الذين لاذنب لهم ولا جرم ، ويجيز اخرون [انه] ان يامر الله العباد وهم على ما هم عليه من هذا الخلق وهذا التركيب ان يطيروا في جو السماء وان يتناولوا النجوم ، وان يقتلعوا الجبال ويدكوا الارض ، ويطووا السموات كطي السجل ، فاذا لم يفعلوا ذلك لعجزهم عنه وضعف بنيتهم عن احتماله ، عذبهم في نار جهنم عذاباً دائماً ، فتعالى الله عما يقولون علواً كبيرا ، وتقدس

عما وصفوه به ؛ بل نقول انه العدل الكريم الرؤف الرحيم ، الذي حسنات العباد منسوبة اليه ؛ وسيئاتهم منفية عنه ، لانه امر بالحسنة ورضيها [رضي بها خ] ورغب فيها واعان عليها ونهى عن السيئة وسخطها ، وزجر عنها ، وكانت طاعات العباد منه بالامر والترغيب ، ولم تكن معاصيهم منه للنهي والتحذير ، وكان جميع ذلك من فاعليه ومكتسبيه بالفعل والاحداث ، وكانت معاصيهم وسيئاتهم من الشيطان بالدعاء والاغواء ،

« آراء المخالفين لاهل العدل »

فاما من يخالفنا فقد افتضحوا حيث قالوا : ان من الله جور الجائرين ، وفساد المعتدين ، فهو عندهم المريد لشتمه ، ولقتال انبيائه ، ولعن اوليائه ، وانه امر بالايمان ولم يرده ، ونهى عن الكفر واراده ، وانه قضى بالجور والباطل ثم امر عباده بانكار قضائه وقدره ، وانه المفسد للعباد ، والمظهر في الارض الفساد ، وانه صرف اكثر خلقه عن الايمان والخير ، واوقعهم في الكفر والشرك ؛ وان من انفذ وفعل ماشاء عذبه ، ومن رد

قضائه وانكر قدره وخالف مشيئته أثابه ونعمه ، وانه يعذب اطفال المشركين بذنوب ابائهم ، وانه تزر الوزارة عندهم وزر اخرى ؛ وتكسب النفس على غيرها ؛ وانه خلق اكثر خلقه للنار ولم يمكنهم من طاعته ثم امرهم بها ، وهو عالم بأنهم لايقدرون عليها . ولا يجدون السبيل اليها ؛ ثم استبطأهم لم لم يفعلوا مالم يقدروا عليه ، ولم لم يوجدوا مالم يمكنهم منه؟ وانه صرف اكثر خلقه عن الايمان ثم قال: (أنى تصرفون)، وافكهم وقال: (أنى تؤفكون)،وخلق فيهم الكفر ثم قال:(لم تكفرون) وفعل فيهم لبس الحق بالباطل ثم قال: (لم تلبسون الحق بالباطل) وانه دعى الى الهدى ثم صدعنه وقال: (لم تصدون عن سبيل الله). وقال خلق كثير منهم: ان الله تعالى منع العباد من الايمان مع قوله :(وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى)وانه حال بينهم وبين الطاعة ثم قال:(وما ذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر) وانه ذهب بهم عن الحق ثم قال :(فاين تذهبون) وانه لم يمكنهم من الايمان ولم يعطهم قوة السجود ثم قال:

(مالهم لايؤمنون ، واذاقرىء عليهم القرءان لايسجدون) وانه فعل بعباده الاعراض عن التذكرة ثم قال:(فما لهم عن التذكرة معرضين) وانه يمكر باوليائه المحسنين ، وينظر لاعدائه المشركين ، لأن العبد عندهم مجتهد في طاعته . فبينما هو كذلك وعلى ذلك اذ خلق فيه الكفر ، واراد له الشرك ونقله مما يحب الى مايسخط ، وبينما عبد مجتهد في الكفر به ، والتكذيب له ، اذ نقله من الكفر الى الايمان ، وهو عندهم لعدوه أنظر منه لوليه ، فليس يثق وليه بولايته ، وليس يرهب عدوه من عداوته ، وانه يقول للرسل اهدوا الى الحق من عنه قد اضللت ، وانهوا عبادي [عن] ان يفعلوا ماشئت واردت ، وامروهم ان يرضوا بما قضيت وقدرت ، لانه عندهم شاء الكفر ، واراد الفجور ، وقضى الجور ، وقدر الخيانة ، ولولا كراهة الاكثار لاتينا على وصف مذهبهم ، وفي ماذكرناه كفاية في تقبيح مذهبهم ، والحمد لله على قوة الحق وضعف الباطل ا.

« الخير والشر ومعنى نسبتهما اليه تعالى »

[فصل] ان سأل سائل فقال : اتقولون : ان الخير والشر من الله تعالى؟، قيل له : ان اردت ان من الله تعالى العافية والبلاء والفقر والغناء ، والصحة والسقم ، والخصب والجدب . والشدة والرخاء ، فكل هذا من الله تعالى ، وقد تسمى شدائد الدنيا شراً وهي في الحقيقة حكمة وصواب وحق وعدل . وان اردت ان من الله الفجور والفسوق ، والكذب والغرور ، والظلم والكفر والفواحش والقبائح فمعاذ الله ان نقول ذلك! بل الظلم من الظالمين والكذب من الكاذبين ، والفجور من الفاجرين ، والشرك من المشركين ، والعدل والانصاف من رب العالمين ، وقد اكد الله تعالى ماقلنافقال : (ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم) ولم يقل : من عند خالقهم ، فعلمنا ان المعصية من عباده ، وليس هي من قبله ، وقال عز وجل :(وان منهم لفريقاً يلون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون

هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) فعلمنا ان الكذب والكفر ليس من عند الله ، واذا لم يكن من عند الله فليس من فعله ولا من صنعه . قال عز وجل: (ابئسما قدمت لهم انفسهم) وما قدمته لهم انفسهم لم يقدمه لهم ربهم ، وقال: (فطوعت له نفسه قتل اخيه) ولم يقل حمله على القتل ربه ، ولا الجأ اليه خالقه ، وقال: (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً ادا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، ان دعوا للرحمن ولدا) فاخبر انهم جاءوا بالاد ، ولم يقل انا جئت به فادخلته قلوبهم ، وقال: (ان دعوا للرحمن ولدا) فاخبر انهم ادعوا الولد ولم يدعه لنفسه ، ثم اخبر جل وعز عن الانبياء (ع) لما عوتبوا على ترك مندوب وما اشبهه اضافت ماظاهره الاخلال بالافضل من الافعال الى انفسها، ولم تضفها الى خالقها، فقال آدم وحواء (ع): (ربنا ظلمنا انفسنا فان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وقال يعقوب لبنيه: (بل سولت لكم انفسكم) ولم يقل سول

لكم ربكم ، وقال بنو يعقوب (ياابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) ولم يقولوا ان خطايانا من ربنا ، وقال: (وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه - بمعنى ان نضيق عليه كما قال: يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر يعني يضيق وقال ومن قدر عليه رزقه اي ضيق - فنادى في الظلمات ان لا آله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) فاقر على نفسه ولم يضف الى ربه ، وقال : (ربي اني ظلمت نفسي) من بعد ماقال: (فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان) ولم يقل من عمل الرحمن ، وقال يوسف (ع) : (من بعد ان نزغ الشيطان بيني و بين اخوتي) وقال الله(تع) لنبينا (ص): (قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي) وقال فتى موسى (ع) : (اني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان) ولم يقل وما انسانيه الا الرحمن ، فما قالوه موافق لقول الله سبحانه: (ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان

فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ليوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون) فقال رجس من عمل الشيطان ولم يقل رجس من عمل الرحمن ، وقال : (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء) فعلمنا ان ماأراد الشيطان غير ما اراد الرحمن ، واخبر ان الشيطان يصد عن ذكر الله ولم يقل الرحمن يصد عن ذكر الله ، وقال : (انما النجوى من الشيطان) ولم يقل من الرحمن ، وقال : (لايفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة) يعني بوسوسته وخديعته وقال عز وجل : (لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ، وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ، ولقد اضل منكم جبلا كثيراً افلم تكونوا تعقلون) فاخبر ان الشيطان اضلهم عن الحق ، وقال : (ان الشيطان ينزغ بينكم ان الشيطان كان للانسان عدواً مبينا) وقال تعالى : (قال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا

ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم) ولم يقل فلا تلوموني ولوموا ربكم ، لانه افسدني وافسدكم ، وكفرني وكفركم ، وقصدنا الى الاخبار عما اضافه الله تعالى الى الشيطان من معاصي العباد لكثر ذلك وطال به الكتاب .

« الفرق بين صنع الخالق والمخلوق ودلالة الكتاب »

[فصل] فان قال قائل · ماالدليل على ان الله تعالى لم يفعل افعال عباده ؛ وان فعل العبد غير فعل رب العالمين ؛ قيل له ؛ الدليل على ذلك من كتاب الله (تع) ومن اخبار رسول الله (ص) ؛ ومن اجماع الامة ؛ ومن حجج العقول ؛ فاما مايدل على ذلك من كتاب الله فقوله سبحانه وتعالى (صنع الله الذي اتقن كل شيء) فلما لم يكن الكفر بمتقن ولا بمحكم علمنا انه ليس من صنعه ؛ وقال تعالى : (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لايعقلون) وقدعلمنا ان الله تعالى قد جعل وخلق الشاة والبعير ، وانما ينفي عن نفسه ماجعلوه من الشق

الذي فعلوه في اذان انعامهم ، فعلمنا ان مانفاه الله تعالى عن نفسه هو كفر العباد وفعلهم ، وقال تعالى : (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) فلما كان الكفر متفاوتاً متناقضاً علمنا انه ليس من خلقه ولا من فعله ، لان خلق الله هو فعله ، وقد قال : (انه يخلق مايشآء) وقال : (كذلك الله يفعل مايشآء) واخبر ان خلقه وفعله واحد ؛ فان قال قائل منهم ان الكفر حسن لان الله خلقه ، قيل له : لوجاز ان يكون حسناً لان الله (تع) خلقه ؛ جاز ان يكون حقاً وصدقاً وعدلا وصلاحاً لم يجز ان يكون حسناً ، ولو كان الكفر حسناً كان الكافر محسناً اذ فعل حسناً ، فلما كان الكافر مسيئاً مفسداً كاذباً جائراً مبطلا ، علما ان فعله ليس بحسن ولا حق ولا صدق ولا عدل ولا صلاح ، وقال الله [تع] : (ان هي الا اسمآء سميتموها انتم واباؤكم ماانزل الله بها من سلطان) ولو كان فاعلا لها لكان قد انزل بها اعظم السلطان والحجة ، وقال :[واتخذوا من دون الله الهاً] تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وقال :

[وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعيائكم ابنائكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل] والله قد جعل الاجسام كلها ، وانما نفى عن نفسه ان يكون قولهم لازواجهم وقولهم لاولادهم انتن امهاتنا وانتم ابناؤنا ثم اخبر انه لايقول الا حقاً وان الكذب ليس من قوله ولا من فعله ، وقال عز من قائل : (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين و بنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) فاخبر انهم جعلوا له شركاء ، ولو كان الجاعل لما كان قد جعل لنفسه شركاء ولا يخلوا من ان يكون هو جعل لنفسه شركاء دونهم ، او يكون هم الذين جعلوا له شركاء ، وهو عن ذلك متعال لم يفعله ولم يجعله ، ولو كان هو الذي جعل لنفسه شركاء دون عباده او ان كان هو جعل ماجعلوا كان قد جعل لنفسه شركاء كما جعل ذلك عباده وكان قد شارك عباده في شركهم وكفرهم ، ومن جعل لله شريكاً فقد اشرك بالله غيره ، [ويجعلون لله البنات] وقال : [ويجعلون لله ما يكرهون]

وقال : [وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله] فلو كان جاعلا ماجعلوه من الكفر كان قد جعل لنفسه مايكرهه وجعل لنفسه اندادا جل الله عن ذلك ، وقال عز وجل : [واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا آلهة من دون الرحمن يعبدون] فنفى ان يكون جعل من دونه آلهة ، فعلمنا ان اتخاذ الآله من دون الله لم يجعله الله ، وقال عز وجل : (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) فلو كان هو الذي جعل الحمية في قلوبهم لم يقل هم الذين جعلوا الحمية ، فان قالوا : ماانكرت إن يجعل ماجعل العباد ، قيل لهم ، لوجاز ان يكون جاعلا لماجعله العباد لكان عادلا بعدل العباد ، ومصلحاً بصلاح العباد ، وجائراً بجور العباد ، ومفسداً بفساد العباد ، وكاذباً بكذبهم ، اذ كان الكذبهم وفسادهم وجورهم فاعلا ، فلما لم يجز ماذكرناه علمنا ان الله لم يجعل لما جعله العباد ، وقال (تع) : (فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون)

فنفى عن نفسه ان يكون كفرهم من عنده تعـالى ؛ وقال عز وجل : [واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبطوك او يقتـلوك او يخرجوك) وقال تعالى : [انهم يكيدون كيداً] فلو كان الله فعل الكيد والمـكر بالنبي [ص] كان قد مكر بنبيه وكاده ؛ تعالى الله عن ذلك ؛ وقال «تع» [الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك] ولو كان اتخاذهم الولد فعل الله كان قد اتخذ ولداً ؛ ولو كان قد فعل عباده فعله كان له شريك في الملك ؛ تعالى عن ذلك ؛ ولو قصدنا الى استقصاء مايدل على مذهبنا في ان الله لم يفعل الظلم والجور والـكذب وسائر افعال العباد لطال بذلك الكتاب ؛ وفيما ذكرناه كفاية ؛ والحمد لله رب العالمين .

« الاخبار المانعة من نسبة الشر الى الله تعالى »

واماماروي عن النبي «ص» من اضافة الحسن الى الله والسوء الى العباد ؛ ماروي عن ابي امامة الباهلي «١» قال : قال

---

(١) ابو امامة الباهلي واسمه صدى بن عجلان الصحابي ، كان من

رسول الله «ص» اضمنوا لي اشيآء اضمن لـكم الجنة ؛ قالوا وما هي يارسول الله قال لاتظلموا عنـد قسمة مواريثكم ، ولا تجبنوا عند قتال عدوكم ؛ وامنعوا ظالمـكم من مظلومكم وانصفوا الناس من انفسكم ؛ ولا تغلوا غنائمـكم ؛ ولا تحملوا على الله ذنوبكم .

وروي عن ابي هريره انه قال : قام رجل من خثعم الى النبي فقـال يارسول الله متى يرحم الله عباده قال «ص» يرحم الله عباده مالم يعملوا بالمعاصي ثم يقولون هي من الله .

وروي عن النبي «ص» انه قال خمسة لاتطفى نيرانهم ؛ ولا تموت ديدانهم ، رجل اشرك بالله ؛ ورجل عق والديه ؛ ورجل سعى بأخيه الى سلطان جائر فقتله ، ورجل قتل نفساً بغير نفس ، ورجل حمل على الله ذنبه ،

المشاهير ، سكن مصر ثم حمص وبها توفي سنة ٨١ هـ وهو اخر من توفي من الصحابة بالشام ، وذكر نصر بن مزاحم ان ابا امامة وابا الدردآء رجعا من صفين ولم يشهدا شيئاً من القتال ، [اسد الغابة ج ٥ ص ١٣٩

وروي عنه (ص) انه قال : أتاني جبرئيل فقال يامحمد خصلتان لا ينفع معهما صوم ولا صلاة ، الأشراك بالله ، وان يزعم عبد ان الله يجبره على معصيته ،

وروي عن ابن مسعود [١] انه قال سألت عن امرأة توفي عنها زوجها ولم يفرض لها صداقاً ، فقال اقول فيها برأيي فان يكن صواباً فمن الله وان يكن خطأً فمني ومن الشيطان ،

وروي عن ابي هريره [٢] انه قال: كان رسول الله (ص) اذا قام بالليل الى الصلاة قال لبيك وسعديك الخير في يديك ، والشر ليس اليك ،

(١) هو [عبد الله] بن مسعود ، من اعيان الصحابة الذي قرء القران وعلم السنة ، وممن شهد جنازة ابي ذر الغفاري بالربذة ، توفي ٧١ ﻫ ودفن بخراسان ، ابن الاثير ج ٤ ص ١٢٢

(٢) ابو هريرة ، صحابي معروف اسلم بعد الهجرة بسبع سنين وكان وضاعاً للحديث ، وقد اشتهر ذلك عنه ونهاه الخليفة عمر فلم ينته فضربه بالدرة (ابن ابي الحديد ج ١ ص ٣٥٨ — ٣٦٠) وكان يلعب الشطرنج ، واختلف في اسمه نيف وثلاثين قولا (اسد الغابة ج ٥ ص ٣١٧) وتوفي بالمدينة ٥٧ وقيل ٥٨ ﻫ وهو ابن ٧٨ سنة ،

وروي عن حذيفة [١] عن النبي(ص)انه قال اذا دعي بي يوم القيمة اقوم فاقول لبيك وسعديك والخير في يديك ، والشر ليس اليك .

وروي عن انس [٢] انه قال : قال رسول الله (ص) سيكون فى هذه الأمة اقوام يعملون بالمعاصي ويزعمون انها من الله فاذا رأيتموهم فكذبوهم ثم كذبوهم ؛

وماشبه هذه الأخبار كثير ، ولو قصدنا الى ذكرها اطال بها الكتاب وانما نذكر من الباب الذي ينبه به على الحق .

(١) ابو عبدالله حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي؛واليمان لقب ابيه واسمه حسل ؛ من كبار الصحابة وساداتهم ومن الولاة الشجعان الفاتحين . كان صاحب سر النبي في المنافقين لم يعلمهم احد غيره . وهاجم نهاوند سنة ٢٢هـ فصالحه صاحبها على مال يؤديه في كل سنة ؛ وغزا الدينور وماه سندان فافتتحها عنوة توفي في المدائن ٦٣هـ وقيل ٥٣هـ ابن الأثير ج ٣ص ١١٤

(٢) انس بن مالك بن النظر بن ضمضم النجاري الانصاري؛صحابي ولد بالمدينة سنة ١٠ ق هـ رحل الى دمشق ومنها الى البصرة وتوفي بها ٩٣ هـ وهو اخر من مات بها من الصحابة ؛ وقد انحرف عن علي ووضع احاديثاً كثيرة فيه حتى اذا اصابه وضح في وجهه وذلك من دعائه (ع) صار يحدث بفضله (ابن ابي الحديد ج ٢ ص ٣٦٢) .

« الادلة العقلية على تنزيه الله من خلق الشرور »

واما حجة العقول على ان الله لم يفعل افعال العباد ،وان فعل الخلق غير فعل رب العالمين ، فهو انا وجدنا من افعال العباد ماهو ظلم وعبث وفساد وفاعل الظلم ظالم وفاعل العبث عابث ، وفاعل الفساد مفسد ، فلما لم يجز ان يكون الله مفسداً علمنا انه لم يفعل الظلم ولا العبث ولا الفساد وايضاً فان افعالهم التى هي محكمة منها ماهو طاعة وخضوع ، وفاعل الطاعة مطيع ، وفاعل الخضوع خاضع ، فلما لم يجز ان يكون الله مطيعاً ولاخاضعاً علمنا انه لا يفعل الطاعة ولا الخضوع ، وايضاً فان الله لا يجوز ان يعذب العباد على فعله ، ولا يعاقبهم على صنعه ، ولا يأمرهم بأن يفعلوا ما خلقه ، فلما عذبهم على الكفر ، وعاقبهم على الظلم ، وأمرهم بأن يفعلوا الأيمان ، علمنا ان الكفر والظلم والأيمان ليس من فعل الله ولا من صنعه ،

ومما يبين ما قلنا انه لايجوز ان يعذب العباد على طولهم وقصرهم والوانهم وصورهم لأن هذه الأمور فعله وخلقه فيهم فلو

كان الكفر والفجور فعل الله لم يجز ان يعذبهم على ذلك ولا ينهاهم ولا يأمرهم بخلافه ، فلما امر الله العباد بالايمان ونهاهم عن الكفر ولم يجز ان يأمرهم بأن يفعلوا طولهم وقصرهم والوانهم وصورهم ، علمنا ان هذه الامور فعل الله ، وان الطاعة والمعصية والايمان والكفر فعل العباد ، وايضاً فلو جاز ان يفعل العبد فعل ربه ، وان يكسب خلق الهه كما قال مخالفونا ان العباد فعلوا فعل ربهم لجاز ان يكون كلامهم كلام الله فيكون كلام العبد كلام ربه كما ان كسب العباد فعل خالقه . فلما لم يجز ان يكون كلام العبد كلام خالقه لم يجز ان يكون فعل العبد فعل الهه ولا كسب العبد صنع خالقه فثبت ان افعال العباد غير فعل رب العالمين ، وايضا فانه لا يخلوا الظلم في قولهم وفعلهم من ان يكون بخلقه الظلم عادلا او ظالماً او مصيباً بذلك او مخطئاً فلو كان الله بخلقه الظلم عادلا كان الظلم عدلا وصوابا لانه لا يجوز ان يصيب الا بفعل الصواب ، ولا يعدل الا بفعل العدل ، ولو كان الكفر والظلم صوابا وعدلا كان الكافر والظالم مصيبين

عادلين ولا مصيب بفعل الكفر والظلم فثبت ان الله لايجوز ان يفعل الظلم والخطأ والفسوق والفجور بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب ، وايضا فلو جاز ان يفعل الله الظلم ولا يكون ظالما لجاز ان يخبر بالكذب بقوله ولا يكون كاذبا فلما لم يجز ان يكون الله يقول الكذب لأن القائل المخبر بالكذب كاذب كذلك لم يجز ان يفعل الظلم لأن الفاعل للظلم ظالم فلما لم يجز ان يكون عز وجل ظالما لم يجز ان يكون للظلم فاعلا فثبت ان الظلم ليس من فعل الله ولا الكذب من قوله سبحانه ، وايضا فان الله سخط الكفر وعابه وذم فاعله ولا يجوز على الحكيم ان يذم العباد على فعله ولا يعيب صنعه ولا يسخط بل يجب ان يرضى بفعله لان من فعل مالا يرضى به فهو غير حكيم ، ومن يعيب ماصنع و يصنع مايعيب فهو معيب ، والله يتعالى عن هذه الصفات علواً كبيراً ، فلما لم يجز على ربنا ان يعيب ماصنع و يسخط مايفعل علمنا ان فعل العباد غير فعل رب العالمين ؛ وايضا فان الله قال في كتابه (ولا يرضى لعباده الكفر) ، وقال

(ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه) فالله احكم واعدل من ان يسخط في فعله ، ويغضب من خلقه ويفعل مالا يرضى به ، وايضا فان الفاعل للفاحشة والظلم والكفر اكثر استحقاقا للذم من الامر بالفاحشة او الكفر فلما كان الآمر بالكفر والظلم والفواحش غير حكيم كان الفاعل لذلك والمحدث له غير حكيم فلما كان الله احكم الحاكمين علمنا انه غير فاعل للكفر ، ولا محدث للظلم ، ولا مبتدع للقبائح ولا مخترع للفواحش ؛ وثبت ان الظلم فعل الظالمين ، والفساد فعل المفسدين والكذب فعل الكاذبين وليس شيء من ذلك فعل رب العالمين ، وايضا فانه لا يخلو افعال العباد من ان تكون كلها فعل رب العالمين لا فاعل لها غيره او ان تكون فعله وفعل خلقه وكسبهم او ان تكون فعل العباد وليست بفعل الله فلما لم يجز ان يكون الله (تع) منفرداً بالافعال ولا فاعل لها غيره لأنه لو كان كذلك كان لا يجوز ارسال الرسل وانزال الكتب ولبطل الامر والنهي ، والوعد والوعيد ، والحمد والذم ، لانه لا فعل

للعباد ولوجب ايضا ان يكون هو الفاعل لشتم نفسه ، وللعن انبيائه ؛ وللفسوق والفجور ، والكذب والظلم ، والعبث والفساد ، فلو كان ذلك منه وحده كان هو الظالم والعابث والمفسد اذ كان لافاعل للظلم والعبث والكذب والفساد غيره، ولو كان فاعلا لما فعله العباد كان هو الفاعل للظلم الذي فعله العباد والكذب والعبث والفساد ، وكان يجب ان يكون ظالما كما انهم ظالمون ، وكان عابثا مفسداً اذا لم يكونوا الفاعلين لهذه الامور دونه ، ولا هو الفاعل لها دونهم ؛ فلما بطل هذان الوجهان ثبت الثالث وهو ان هذه الافعال عمل العباد وكسبهم وانها ليست من فعل رب العالمين ولا صنعه ؛ ولو قصدنا الى استقصاء ادلة اهل العدل في هذا الباب لطال بذلك الكتاب.

« اللوازم الفاسدة للقول بخلق افعال العباد »

[فصل] ومما يسأل عنه من زعم ان فعل العباد هو فعل الله وخلقه ان يقال لهم اليس من قولكم ان الله محسن الى عباده المؤمنين اذ خلق فيهم الأيمان وبين بفعل الأيمان . فان قالو :

لا تقول ذلك ، زعموا ان النبي (ص) لم يحسن في تبليغ الرسالة ، وكفى بهذا خزياً لهم . فان قالوا : ان الانسان المؤمن محسن بفعل الأيمان وكسبه ، يقال لهم : فقد كان احسان واحد من محسنين بفعل الأيمان وكسبه من الله ومن العبد . فان قالوا : بذلك . قيل لهم : فما انكرتم ان تكون اساءة واحدة من مسيئين فيكون الله عز وجل مسيئاً بما فعل من الأساءة التي العبد بها مسيء ، كما كان محسناً بالاحسان الذي به العبد محسن فان قالوا : انه مسيء باساءة . لزمهم ان يكون ظالما بظلمهم ، وكاذبا بكذبهم ، ومفسداً بفسادهم ، كما كان مسيئا باساءتهم . فان قالوا : لا يجوز ان تكون اساءة واحدة بين مسيئين . قيل لهم : فما انكرتم ان لا يكون احسان واحد بين محسنين ، ولا يجدون من هذا الكلام مخرجا ، والحمد لله رب العلمين .

وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها ، و يقال لهم أليس الله نافعا للمؤمنين بما خلق فيهم من الأيمان فمن قولهم نعم فيقال لهم والعبد نافع لنفسه بما فعل من الأيمان . فاذا قالوا : نعم .

قيل لهم : قد ثبت ان منفعة واحده من نافعين هي منفعة من الله بالعبد بأن خلقها ، ومنفعة من العبد بأن اكتسبها . فان قالوا نعم . قيل لهم : وكذلك الكفر قد ضر الله به الكفار بأن خلقه وضر الكافر نفسه بأن اكتسب الكفر . فان قالوها : قيل لهم . فما أنكرتم ان يكون الله قد افسد الكافر بأن خلق فساده ويكون الكافر هو افسد نفسه بان اكتسب الفساد . فان قالوا نعم . قيل : فما انكرتم ان يكون الكافر جائراً على نفسه بما اكتسب من [فعل خ] الجور ايضاً كما قلتم في الكافر . فان قالوا : جائز خرجوا من دين اهل القبلة . وان قالوا : لا يجوز ان يكون الله جائراً بما فعله العباد من الجور . قيل لهم : وكذلك ما انكرتم ان لا يكون مفسداً بفسادهم ، ولا ضاراً لهم بضررهم فان قالوا بذلك : قيل لهم . فما أنكرتم ان لا يكون فاعلا لما فعلوه من الكفر والفساد وان يكون فعله غير فعلهم . وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها . ويقال لهم : اليس الله نافعا للعباد بما خلق فيهم من الايمان . فمن قولهم نعم : فيقال لهم .

وكذلك النبي (ص) قد نفعهم بما دعاهم الى الايمان . فان ابوا ذلك وزعموا ان النبي مانفع احداً ولا احسن الى احد . قيل لهم: فما انكرتم ان لايجب على المؤمنين شكره ولا حمده اذ كان غير نافع لهم ولا محسن اليهم ؛ وان قالوا : ان النبي (ص) قد نفعهم بدعائه اياهم الى الايمان . قيل لهم : افليس الله بما خلق فيهم من الايمان انفع لهم من النبي (ص) اذ دعاهم الى الايمان فلا بد لهم من نعم . لأن النبي (ص) قد يجوز ان يدعوهم الى الايمان فلا بد لهم من نعم يجيبون اليه ؛ ولايجوز ان يخلق الله فيهم الايمان الا وهم مؤمنون ، فيقال افليس قد ضر الله الكافر في قولهم بما خلق فيه من الكفر فمن قولهم نعم : افليس قد ضرهم ابليس بدعائه اياهم الى الكفر فلابد من نعم والالزمهم ان لايكون ابليس وسوس الى احد بمعصيته ولايجب ان يذم على شيء من افعاله ، وردوا ايضا مع ذلك كتاب الله لان الله يقول الشيطان يعدكم الكفر والفقر و يامركم بالفحشاء والله يعدكم منه مغفره وفضلا . ويقال لهم : فايما اعظم المضرة

التي فعلها الله [تع] بالكافر من خلق الكفر اوالمضرة التي فعلها ابليس من دعائه اياهم الى الكفر . فان قالوا : ان منفعة الله للمؤمنين اعظم من المضرة التي خلقها الله فيهم وهي خلق الله الكفر فيهم . قيل لهم : فما انكرتم ان تكون منفعة النبي [ص] للمؤمنين اعظم بدعائه اياهم الى الايمان . فان قالوا : المضرة التي فعلها بهم ابليس اعظم منفعة من الله لهم بخلق الايمان فيهم . قيل لهم : فما انكرتم ان تكون مضرة الله للكافرين في خلق الكفر فيهم اعظم من مضرة ابليس بدعائه اياهم الى الكفر . فان قالوا بذلك . قيل لهم : فقد وجب عليكم ان الهكم اضر على الكافرين من ابليس ، فاذا قالوا . انه اضر عليهم من ابليس . قيل لهم : فما انكرتم ان يكون شراً عليهم من ابليس كما كان اضر عليهم من ابليس كما قلتم ان الله انفع للمؤمنين من النبي (ص) وخيرلهم من النبي [ص]. فان قالوا : ان الههم شر من ابليس فقد خرجوا من دين اهل القبلة وان ابوا ذلك لم يجدوا منه مخرجا مع التمسك بقولهم ، ويقال

لهم أتقولون ان الله قد ضر الكفار في دينهم فمن قولهم نعم فيقال لهم فما انكرتم ان يعذبهم في دينهم كما انه ضرهم في دينهم فان قالوا ان الله لا يضر العباد في اديانهم. قيل لهم : والله لا يضرهم في اديانهم ، وان قالوا : ان الله يضرهم في اديانهم قيل لهم : فما انكرتم ان يموه عليهم و يخدعهم عن اديانهم فان قالوا: بذلك شتموا الله اعظم الشتيمة . و ان قالوا : ان الله لا يخدع احداً عن دينه ولا يغر احداً عن دينه . قيل لهم : فما انكرتم ان لا يجوز ان يضره في دينه وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها. ويقال لهم أتقولون ان الله ضر النصراني في دينه اذ جعله نصرانياً وخلق فيه الكفر، وكذلك اليهودي. فان قالوا : نعم وهو قولهم . فيقال لهم فما انكرتم ان يفسد في دينه فيكون مفسداً لعباده في اديانهم. فان قالوا: انه مفسد لهم في اديانهم. قيل لهم افيجب عليهم شكره وهو في قولهم مفسد لهم . فان قالوا : لا يجب ان يشكر صح كفرهم ، وان قالوا انه يجب ان يشكر . قيل لهم : على ما ذا يشكر ، فان قالوا على الكفر فقد افتضحوا و بان خزيهم . وان قالوا : انه

يشكر ماخلق فيهم من الصحة والسلامة . قيل لهم اوليس هذه الامور عندكم قد فعلها مضرة عليهم في دينهم ليكفروا ويصيروا الى النار فكيف يكون مابه هلاكهم نعمة عليهم ، فاذا جاز ذلك يكون من اطعمني خبيصاً مسموماً ليقتلني به منعماً علي ومحسناً . فان قالوا : لايكون محسناً الى الكافر بهذه الامور اذا ما فعلها فيهم ليكفروا ويصيروا الى النار فلابد لهم ان لايروا الشكر لله على العباد واجبا فيخرجوا من دين اهل القبلة ، ويقال لهم اليس الله بفعله للصواب مصيباً فمن قولهم نعم . يقال لهم : فاذا زعمتم انه قد جعل الخطأ فما انكرتم ان يكون مخطئاً فان قالوا : انه مخطئ بان كفرهم وان قالوا : لايكون بفعله للخطأ مخطئاً قيل لهم : فما انكرتم ان لا يكون بفعله للصواب مصيباً كما لم يكن بفعله للخطأ مخطئاً ، وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها ويقال لهم اليس الله عزوجل مصلحاً للمؤمنين بماخلق فيهم من الصلاح ؟ فاذا قالوا : نعم . قيل لهم : فما انكرتم ان يكون مفسداً للكافرين بماخلق فيهم من الكفر والفساد . فان قالوا

بذلك . قيل لهم ؛ فما أنكرتم ان يكون ظالماً بما خلق فيهم من الظلم ، فان ابوا ذلك يسألوا الفصل بينهما ولن يجدوه ، وان قالوا انه ظالم فقد وضح شنعهم الله ، و يقال لهم : ا تقولون ان الله مصيب عادل في جميع ماخلق ، فاذا قالوا : نعم قيل. لهم : فما ا نكرتم ان يكون جميع ماخلق صوابا وعدلا ان كان عادلا مصيباً بخلقه ، فان قالوا : ان جميع ماخلق عدل وصواب قيل لهم : افليس من قولكم ان الظلم و الكفر و الخطأ عدل وصواب ، فان قالوا : انذلك عدل وصواب . قيل لهم : فما انكرتم ان يكون ذلك حقاً وصلاحاً ، فان قالوا : بذلك فقد وضح فساد قولهم ولزمهم ان يكون الكافر عادلا بفعله الكفر وان يكون مصيبا حقاً مصلحا ان كان فعله عدلا وصوابا وحقاً وصلاحاً. فان ابوا ان يكون الكفر صلاحاً وصوابا و حقاً وعدلا قيل لهم : فما انكرتم ان لايكون بفعله الجور عادلا ، ولا بفعله الخطأ مصيباً ، ولا بفعله الفساد مصلحاً . فأن قالوا بذلك ؛ قيل لهم ؛ فما انكرتم ان لايكون الخطأ والجور من فعله اذ

كان مصيباً عادلا في جميع فعله .فان قالوا بذلك ، تركوا قولهم وصاروا الى قول اهل الحق ان الله لا يفعل خطأ ولا جورا ولا باطلا ولا فساداً ، ويقال لهم اتقولون ان الله يفعل الظلم ولايكون ظالماً فمن قولهم نعم . يقال لهم ، فما الفرق بينكم وبين من قال انه ظالم وانه لم يفعل ظلما ، وان قالوا : لايجوز ان يكون ظالما الا من فعل ظلماً . قيل لهم ، وكذلك لايجوز ان يكون للظلم فاعلا ، ولا يكون ظالماً بل يجب ان يكون من كان للظلم فاعلا ان يكون ظالما ، ويقال لهم أليس من قولكم ان الله خلق الكفر في الكافرين ثم يعذبهم عليه ، فاذا قالوا نعم : يقال لهم فما انكرتم ان يضطرهم الى الكفر ثم يعذبهم عليه ، فان قالوا لواضطرهم الى الكفر لم يكونوا مأمورين ولا منهيين لانه لايجوز ان يؤمروا ولا ينهوا بما اضطرهم اليه . قيل لهم ، ولو كان الكفر قد خلق فيهم لم يكونوا مأمورين ولا منهيين لانه لا يجوز ان يؤمروا وينهوا بما خلق الله فيهم ، وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها ، وان قالوا ، ان الله اضطرهم الى الكفر ، قيل لهم ، فما انكرتم

ان يكون حملهم عليه واجبرهم وا كرههم. فان قالوا : بذلك صاروا الى قول جهم [١] انه لا فعل للعباد وانهم كالحجارة تقلب وان لم تفعل شيئاً كالابواب تفتح وتغلق و ان لم تفعل شيئاً ، ولزمهم مالزم جهماً. فان صاروا الى قول جهم. قيل لهم : اذا جاز عندكم ان يعذب الله العباد على مالم يكن منهم بل يعذبهم على ما اضطرهم اليه وحملهم فما انكرتم ان يعذبهم على الوانهم وصورهم وطولهم وقصرهم. فان قالوا بذلك. قيل لهم: فلم لايجوز ان يعذبهم لم خلقهم وخلق السموات والارض. وان قالوا : بذلك سقطت مؤنتهم ولم يؤمنوا لعل الله سيعذب قوماً على ماذكرنا ، وان قالوا لايجوز ان يعذبهم على ماذكرتم. قيل لهم : فما انكرتم ان لايجوز ان يعذبهم على مااضطرهم اليه

[١] جهم بن صفوان الترمذي الفارسي ، اليه تنتمي الطائفة الجهمية من الجبرة . قتله سالم بن احوز المازني بمرو في اواخر الدولة الاموية سنة ١٣١هـ وكان ينفي الصفات الالهية كلها وينفي رؤية الله (تع) ويزعم ان الجنة والنار تفنيان وتنقطع حركات اهلهما محتجاً بان عدم فنائهما يتعارض مع معنى قوله [تع] (واحصى كل شيء عدداً) يذهب الى القول بخلق القرآن .

واجبرهم عليه ، و يقال لهم ان صاروا الى قول جهم اذازعمتم ان لافاعل الا الله فما انكرتم ان يكون لاقائل الا الله . فان قالوا بذلك : قيل لهم فما انكرتم ان يكون هوالقائل أني ثالث ثلاثه ، وإن لي ولداً ، وهو الكاذب بقول الكاذب ؛ ولزمهم ان تكون جميع اخباره كذبا ، وان قالوا : لايجب ان يكون لاقائل الا الله لان هذا يوجب انه ظالم عابث اذلم يفعل الظلم والعبث غيره ، وان امتنع القوم من ان يقولوا انه اضطرهم الى الكفر . قيل لهم فما انكرتم ان لايكون قدخلق فيهم الكفر كما لم يضطرهم اليه ويحملهم عليه ، و يقال لهم اليس الله [تع] خلق الكفر و الايمان وامر بالايمان ونهي عن الكفر واثاب على الايمان وعاقب على الكفر . فاذا قالوا نعم ، قيل لهم فقد امر الله (تع) العباد ان يفعلوا خلقه ونهاهم وغضب من خلقه لان الله (تع) غضب من الكفر وهو خلقه فان قالوا : بذلك . قيل لهم : فلم لايجوز ان يغضب من كل خلقه كما غضب من بعض ولم لا يجوز ان يأمر وينهى العباد و يثيبهم ويعاقبهم على

السواد والبياض والطول والقصر كما امرهم بخلقه ونهاهم عن خلقه وا ثابهم وعاقبهم على خلقه . ويقال لهم ، اليس الله تعالى فعل الظلم وليس بظالم فمن قولهم نعم . يقال لهم : فما انكرتم ان يخبر بالكذب ولا يكون كاذباً . فان قالوا ؛ بذلك لم يؤمنوا ان جميع اخباره عن الغيب والحساب والجنة والنار كذب ، وان لم يكن كاذباً . وان قالوا لايجوز ان يخبر بالكذب الا كاذب . قيل لهم ؛ فما انكرتم انلايفعل الظلم الا ظالم . فان قالوا ؛ لايجب انيكون الله ظالما لانه انما فعل ظلم العباد . قيل؛ فما انكرتم ان لايكون كاذبا لانه انما قال كذبا للعباد ، ولم يجدوا مما مألناهم مخلصاً . ويقال لهم اليس الله [تع] قدفعل شتم نفسه ولعن انبيائه . فان قالوا؛ نعم. قيل لهم؛ فما انكرتم ان يكون شاتما لنفسه لاعناً لانبيائه . فان قالوا ؛ انه شاتم لنفسه لاعن لا نبيائه فقد سقطت مؤ نتهم وخرجوا عن د ين اهل القبلة . وان قالوا ؛ ان الله لايجوز ان يشتم نفسه ولايلعن انبيائه . قيل لهم ؛ فما انكرتم ان لايجوز ان يفعل شتم نفسه

ولا لعن انبيائه . وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها .

« التنديد بالقائلين بخلق الافعال »

[فصل] قد كان الاولى ان لا ندل على مثل هذه المسئلة اعنى ان افعال العباد فعلهم وخلقهم لان المنكر لذلك ينكر المحسوسات التى قد تبين صحتها ، ولولا مارجوته من زوال شبهه ، ومن وضح [وضوح] حجة تحصل لقاريء كتابي هذا لما كان هذا الباب مما ينتشر فيه القول ، ولا اعجب ممن ينفى فعله مع علمه بأنه يقع بحسب اختياره ودواعيه ومقاصده نعوذ بالله من الجهل فانه اذا استولى وغمر طبق وعم ؛ وقد قال الرسول (ص) الصادق حبك الشيء يعمي ويصم ، وقد قال الله سبحانه فى قوم عرفوا ثم عاندوا [وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلواً . فانظر كيف كان عاقبة المفسدين] .

« تنزيهه تعالى عن القضاء بغير الحق »

(فصل) فان قال منهم قائل : ماذا نفيتم ان يكون الله فاعلا لافعالكم افتقولون انه قضي اعمالكم . قيل له : ان الله (تع) قضى الطاعة اذ امر بها ولم يقضي الكفر والفجور والفسوق . فان قال: فما الدليل على ماقلتم . قيل له : من الدليل على ذلك قول الخالق الصادق عز وجل (والله يقضي الحق وهو خير الفاصلين) فعلمنا انه يقضي بالحق ولا يقضى بالباطل ؛ لانه لوجاز ان يتمدح بانه يقضي الحق وهو يقضي غير الحق ويقضي بالباطل لجاز ان يقول والله يقول الحق ؛ وهو يقول غير الحق ؛ فلما كان قوله والله يقول الحق دليلا على انه لايقول غير الحق كان قوله يقضي الحق دليلا على انه لايقضي غير الحق ؛ ويدل على ذلك قوله (تع) (والله يقضي بالحق) فعلمنا انه يقضي بالحق ولا يقضي بالجور ؛ ويدل على ذلك ايضا قوله (تع) (وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) فعلمنا انه لم يقض عبادة الاصنام والاوثان ولا عقوق الوالدين ؛ ومما يبين ذلك

ايضا ان الله اوجب علينا ان نرضي بقضائه ولا نسخطه ؛ واوجب علينا ان نسخط الكفر ولا نرضاه ؛ فعلمنا ان الكفر ليس من قضآء ربنا ؛ ومما يبين ذلك ان الله (تع) اوجب علينا ان ننكر المنكر ؛ وان نمنع الظلم ؛ فلو كان الظلم من قضآء ربنا كان اوجب علينا ان ننكر قضائه وقدره فلما لم يجز ان يوجب الله انكار قضائه ولا رد قدره ؛ علمنا ان الظلم ليس من قضائه ولاقدره ؛ وايضا قال الله (تع) . في كتابه (ويقتلون النبيين بغير الحق) وقال . «يقضي بالحق» فعلمنا ان ما كان بغير الحق غير ماقضي بالحق فلو كان قتل الانبياء من قضآء الله كان حقا ؛ وكان يجب علينا الرضاء به لانه يجب علينا الرضاء بقضاء الله ، وقد امر الله (تع) ان لايرضى بغير الحق ولا ولايرضى بقتل الانبياء . فعلمنا ان قتلهم ليس بقضاء ربنا ولا من فعل خالقنا ؛ ومما يبين ان الله (تع) لم يقدر الكفر قوله (تع) فى كتابه (سبح اسم ربك الاعلى ، الذي خلق فسوى؛ والذي قدر فهدى) ولم يقل انه قدر الضلال على خلقه ولا قدر

الشقاء على خلقه لانه لايجوز ان يتمدح بأنه قدر الضلال عن الحق ؛ وكل ضلال عن الحق فمن تقديره ؛ تعالى عن ذلك علواً كبيرا .

« معنى خلق الاشياء كلها »

(فصل) فان قيل : فما معنى قول الله (تع) (خالق كل شيء) و (خلق كل شيء) . قيل له : انما اراد به خلق السموات والارض والليل والنهار والجن والانس وما اشبه ذلك وقد بين الله لنا صنعه فقال : (صنع الله الذي أتقن كل شيء) فلما لم يكن الكفر بمتقن ولا بمحكم ولا بحق ولا بعدل . علمنا انه ليس من صنعه لانه متفاوت متناقض ، وقد قال (تع) (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا) فاخبر ان الاختلاف لايكون من عنده ، وقال (تع) ! (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) والكفر متفاوت متناقض . فثبت انه ليس من خلقه وانه عمل الكافرين فان قال : فلم زعمتم ان قوله كل شيء قد خرج منه بعض الاشياء . قيل له : قد قال

الله (تع) : (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) ولم يخلقها والايمان الذي امر به الله فرعون والكافرين لم يخلقه فثبت ان الاشياء في بعض دون بعض ، وقد قال الله (تع) : (واوتيت من كل شيء) ولم تؤت من ملك سليمان شيئاً ، وانما اراد مما اوتيته هي دون مالم تؤته ، وقال (تع) : (يجبى اليه ثمرات كل شيء) وقد علمنا انه لم يجب اليه ثمرات الشرق والغرب ، وانما اراد مما يجبى اليه ، وكذلك قوله (تع) (خالق كل شيء) مما خلقه (تع) ، وقال (تع) : [ففتحنا عليهم ابواب السماء] وانما اراد مافتح عليهم ، وقال (تع) : [فيه تبيان كل شيء] ولم يرد تبيان عدد النجوم وعدد الانس والجن ، وانما اراد بيان كل شيء مما بالخلق اليه حاجة في دينهم ، وقال [تع] : [تدمر كل شيء بامر ربها] ولم يرد انه تدمر هوداً والذين معه ، وانما اراد تدمر من ارسلت لتدميره . وقال : [انطقنا الله الذي انطق كل شيء] ولم ينطق الحجارة والحركة والسكون ، وما اشبه ماذكرناه كثير كذلك ايضاً قوله [بديع السموات

والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء] فقدره تقديرا] اراد الازواج والاولاد والاجسام لأن هذا رد على النصارى ولم يرد الفجور والفسوق ، وما ذكرناه في اللغة مشهور . قال لبيد بن ربيعة [١] .

الا كل شيء ماخلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل

ولم يرد ان الحق باطل ، ولا ان شعره هذا باطل ، وقد قال كل شيء وانما اراد بعض الاشيآء ، ويقول القائل دخلنا المشرق فاشترينا كل شيء ورأينا كل شيء حسن ، وانما اراد كل شيء مما اشتروا وكل شيء ممـا ارادوا وكذا [خالق كل شيء] مما خلقه لاىما فعله عباده لأنه لايجوز ان يفعل العباد خلق رب العالمين ؛ ويقال لهم : ان كان يجب ان تكون اعمال

« ١ » لبيد بن ربيعة العامري الشاعر المشهور ، ذكره السجستاني في كتاب « المعمرين من العرب » « ص ٥٢ » وقال عاش ١٢٠ سنة وقيل ١٥٧ سنة وتوفي سنة ٤١ هـ وقيل يوم دخل معاوية الكوفة وقيل في خلافة عثمان ، وله صحبة وولاء لاهل البيت وترك الشعر مذ اسلم . ابن الاثير ج ٣ ص ١٦٧ .

العباد خلق الله لقول الله [خالق كل شيء] فيجب ان يكون كل خلقه حسناً لقوله [الذى احسن كل شيء خلقه] فيجب ان يكون الشرك حسناً ، وكذلك الظلم والكذب والفجور والفسوق لأن ذلك عندهم خلق الله [تع] . فان قالوا: ان قوله [الذى احسن كل شيء خلقه] انما اراد بعض الأشياء . قيل لهم : فما انكرتم ان يكون قوله [خالق كل شيء] انما وقع على كل شيء خلقه دون مالم يخلقه مما يقدر عليه و يعلم انه لا يفعله ومما يفعله عباده من الطاعة والمعصية . فان قال : قائل فامعنى قول الله (تع) : (والله خلقكم وما تعملون) قيل له انما خبر الله عن ابراهيم انه حاج قومه فقال (لم تعبدون ماتنحتون ، والله خلقكم وماتعملون يقول نحتم خشباً ثم عبدتموه على وجه التوبيخ . ثم قال: [والله خلقكم وماتعملون] يقول خلقكم وخلق الخشب الذي عملتموه صنما فسمي الصنم الذي عملوه عملا له، وان كان الذى حل فيه من التصوير عملهم ؛ ولما ذكرناه نظاير من القران واللغة . فاما القران فقوله [تع] [يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل

وجفان كالجواب وقدور راسيات] وانما عملهم حل في هذه الامور . فاما الحجارة فهي خلق الله لافاعل لها غيره ؛ ومن ذلك ايضاً قوله . (واصنع الفلك) فالخشب خلق الله والعباد نجروه وعملوه فلكا وسفناً ، ومن ذلك ايضا قوله . (ان اعمل سابغات) فالحديد خلق الله ولكن العباد عملوه درعا فعمل داود (ع) حل في الحديد والحديد خلق الله ، وقال . في الحية(تلقف ماصنعوا) وانما يريد انها تلقف الحبال والعصي التي فيها صنعهم فكذلك قال . (لم تعبدون ماتنحتون ، والله خلقكم وما تعملون) خلق الخشب الذي يعملون منه صنما الا ان العباد عملوا خلق الله لاان الله خلق اعمالهم ، وقد يقول القائل . فلان يعمل الطين لبنا ؛ ويعمل الحديد اقفالا ؛ ويعمل الخوص زبلا ؛ كذلك ايضا عملوا الخشب اصناما فجاز ان يقال انها عمل لهم كما قيل : انهم يعملون الخوص والطين والحديد ، ثم انا نرد هذا الكلام عليهم فنقول لهم اذا زعمتم ان كفرهم خلق

لهم ، وقال ابراهيم : محتجاً عليهم في قولهم ان الله خالق اعمالهم فلم ما قالوا ياابراهيم اذا كان الله خلق فينا الكفر ولا يمكننا ان نرد ماخلق الله فينا ، ولو قدرنا لفعلنا وانت تامرنا بأمر لايكون خلق الله فينا فانما تأمرنا بأن لانخلق الله خلقا ماشاء الله بل قالوا ذلك لتبين ابراهيم (ع) ان كفرهم غير خلق الله ، ولو كان خلق الله ماعذبوا عليه ولا نهوا عنه ، وقد قال الله (تع) : (لاتبديل لخلق الله) فلو كان خلق الله مابدل ، وما عذبوا الاعلى كفرهم الذي هو غير خلق الله ، وان خلق الله حكمة وصواب ، والكفر سفه وخطأ . فثبت ان الحكمة غير السفة ، والخطأ غير الصواب ولولا كراهة طول الكتاب وخوف ملال القارىء لاتينا على كل شيء مما يسألون عنه من المتشابه في تصحيح مذهبهم ، وفيما ذكرناه كفاية ودلالة على مالم نذكره على انا قد اودعنا كتابنا (صفوة النظر) من ذلك مافية بلاغ ، والحمد لله رب العالمين .

معنى الهدى فى المؤمن والكافر

[فصل] ان سأل سائل فقال : اتقولون ان الله هدى الكافر . قيل له : ان الهدى على وجهين هدى هو دليل وبيان فقد هدى الله بهذا الهدي كل مكلف بالغ الكافر منهم والمؤمن ، وهدى هو الثواب والنجاة فلا يفعل الله هذا الهدى الا بالمؤمنين المطيعين القائلين عن الله ورسوله .

فان قالوا : فما الدليل على ان الهدي ما تقولون . قيل : الدليل على ان الهدي قد يكون بمعنى الدليل قوله (تع) : في كتابه (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون) فقد خبر الله [تع] انه هدى ثمود الكفار فلم يهتدوا فاخذتهم الصاعقة بكفرهم . وقال الله (تع) : [ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان تتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى] يعني الدلالة والبيان وقال (تع) : [وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى]

يعني الدلالة والبيان . وقال : [انا هديناه السبيل] يعني دللناه على الطريق . وقال (تع) : [وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم قوما مجرمين] فخبروا في الآخرة ان الهدى اتى من الله للكفار فلم يهتدوا ، وانما هدى الله هدى الدليل وقال (تع) لنبيه « ص » : [وانك لتهدي الى صراط مستقيم] يعني تدل وتبين ، وما اشبه ماذكرناه اكثر من ان نأتي عليه . واما مايدل على ذلك من اللغة ، فان كل من دل على شيء فقد هدى اليه فلما كان الله (تع) قد دل الكفار على الايمان ثبت انه قد هداهم الى الايمان فاما هدى الثواب الذي لايفعله الله بالكافرين فمنه قوله (تع) [والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم] وانما يهديهم بعد القتل بان ينجيهم و يثيبهم ، [وقال الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم جنات تجري من تحتهم الانهار] وانما يهديهم بايمانهم

بأن ينجيهم ويثيبهم ، وقال : (يهدي الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وقال : [يهدي اليه من اناب] يعني من تاب . فهذا الهدى وما اشبهه لا يفعله الله الا بالمؤمنين القائلين بالحق ، فاما قرن الدليل فقد هدى الله الخلق اجمعين . وكلما سألت عن اية من الهدى من الله [تع] فردها الى هذين الاصلين . فانه لايخلوا من ان يكون على ماذكرناه ؛ ولولا كراهة التطويل لسألنا انفسنا عن اية اية مما يحتاج الى البيان وفي هذه الجملة دليل على مانسأل عنه .

« حقيقة الاضلال منه سبحانه »

(فصل) فان قيل : افتقولون ان الله (تع) اضل الكافرين قيل له : نقول ان الله اضلهم بان عاقبهم واهلكهم عقوبة لهم على كفرهم ولم يضلهم عن الحق ولا اضلهم بان افسدهم جل وعز عن ذلك . فان قالوا : لم زعمتم ان الضلال قد يكون عقابا . قيل لهم : قد قال الله (تع) ؛ (ان المجرمين فى ضلال وسعر) يعني في هلاك ، وسعر يعني سعر النار فيهم ، اذ ليس

في ضلال هو كفر او فسق لان التكليف زائل في الآخرة ، وقد بين الله «تع» من يضل فقال : « ويضل الله الضالمين » وقال : « و يضل الله الكافرين » وقال : « وما يضل به ا لا الفاسقين» وقال ؛ « وكذلك يضل من هو مسرف كذاب» ثم اوضح الامر وخبر انه لايضل الا بعد اقامة الحجة ، فقال « ماكان الله ليضل قوماً بعد اذهداهم حتى يبين لهم مايتقون » فاخبر ؛ انه لايضل احداً حتى يقيم الحجة عليه فاذا ضل عن الحق بعد البيان والهدى والدلالة اضله الله حينئذ بان اهلكه وعاقبه ، واما الاضلال الذي تنفيه عن ربنا « تع » فهو ما اضافه الله الى غيره . فقال ؛ « واضلهم السامري » يقول ؛ اضلهم بان دعاهم الى عبادة العجل . وقال ؛ « واضل فرعون قومه وما هدى » يريد اضلهم بان قال ؛ « انا ربكم الاعلى » وامرهم بالكفر ودعى اليه ، والله لايأمر بعبادة غيره ولا يفسد عباده ، وقال ؛ « فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين » وقال ؛ « ولقد

اضل منكم جبلا كثيراً افلم تكونوا تعقلون » يريد انه افسد وغر وخدع ، والله لا يضر العباد ولا يظهر في الارض الفساد وقال يخبر عن اهل النار : انهم يقولون « ما اضلنا الا المجرمون» يريد ما افسدنا ولا غيرنا ولا بين الكفر والمعاصي الا المجرمون ولم يقولوا ما اضلنا إلا رب العالمين ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! وكل اضلال اضل الله به العباد فانما هو عقوبة لهم على كفرهم وفسقهم . واما من خالفنا فزعموا ان الله « تع » يبتدىء كثيراً من عباده بالاضلال عن الحق ابتداءاً من غير عمل ، وان من قولهم ان عبداً مجتهداً في طاعة الله قد عبده مائة عام ثم لا يأمنه ان يضله عما هو عليه من طاعة فيخلق فيه من الكفر ، ويزين عنده الباطل ، وان يعبد غيره مائة عام ويكفر به ثم لا يامن ان يخلق فى قلبه الايمان فينقله عما هو عليه فليس يثق وليه بولايته ، ولا يرهب عدوه من عداوته .

« عود على بدء فى معنى الهدى »

« فصل » فان سأل سائل فقال : مامعنى قوله : « انك لاتهدي من احببت . قيل له ؛ معنى ذلك انك لاتنجي من العذاب من احببت لان النبي « ص » كان حريصاً على نجاة اقاربه بل كل من دعاه . فان قيل : فلم زعمتم ان هذا تأويل الاية . قيل له : لما كان الله قد هداهم بان دلهم على الايمان علمنا انه لم يهدهم بهدى الثواب ، وقد بين الله « تع » ان الهدى بمعنى الدليل قد هداهم به فقال : « ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وان جاءهم من ربهم الهدى » يعني الدلالة والبيان . فان قيل : فما معنى قوله « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء » قيل له . انما اراد به ليس عليك نجاتهم « ماعليك الا البلاغ والله ينجي من يشاء » . فان قيل : فلم قلتم هذا . قيل لهم : لما اخبر الله « تع » ان النبي « ص » قد هدى الكافر فقال : « انك لتهدي الى صراط مستقيم » وانما يريد انك تدل ، فلما كان

قد دل المؤمن والكافر كان قد هدى الكافر والمؤمن فعلمنا انه اراد بهذه الاية هدى الثواب والنجاة فقس على ماذكرناه جميع مايسأل عنه من امثال هذه الاية .

« الارادة وحقيقتها »

باب الكلام في الارادة . فان سأل سائل فقال اتقولون ان الله [تع] اراد الايمان من جميع الخلق المأمورين والمنهيين او اراد ذلك من بعضهم دون بعض . قيل له : بل اراد ذلك من جميع الخلق ارادة بلوى واختبار ، ولم يرد ارادة اجبار واضطرار ، وقدقال الله [تع] : [كونوا قوامين بالقسط] وقال : [كونوا قردة خاسئين] فاراد ان يجعلهم هو قردة،ارادة اجبار واضطرار فكانوا كلهم كذلك ، واراد ان يقوموا بالقسط ارادة بلوى واختبار ، فلو اراد ان يقوموا بالقسط كما اراد ان يكونوا قردة خاسئين ، لكانوا كلهم قوامين شاؤا اوابوا ولكن لو فعل ذلك مااستحقوا حمداً ولا اجراً ؛ ومما يدل من القران على ان الله اراد بخلقه الخير والصلاح ؛ ولم يرد بهم الكفر

والضلال قوله سبحانه « يريدون عرض الدنيا والله يريد عرض الاخرة » فاخبر ان ماأراد غير ماارادوا . وقال : « يريد الله ان يبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم » فاخبر ان ارادته في خلقه الهداية والتوبة والبيان ، ثم قال : « والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما » فاخبر ان ماأراد الله منهم غيره من الميل العظيم . وقال : « يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره » فاخبر انه انما يأبى ماأراده العباد من اطفاء نوره . وقال : « وما الله يريد ظلماً للعباد » وقال : « وما الله يريد ظلماً للعالمين » فاخبر انه لايريد الظلم بوجه من الوجوه كما انه لما قال « ولا يرضى لعباده الكفر » لم يجز ان يرضى (به) بوجه من الوجوه ، وكذلك لما قال « ان الله لايأمر بالفحشاء اتقولون على الله مالا تعلمون » لم يجز ان يأمر بالفحشاء بوجه من الوجوه ، ولو جاز ان يريد الظلم وهو يقول « وما الله يريد ظلماً للعالمين » لجاز ان يرضى بالكفر ويحب

الفساد ويأمر بالفحشاء ، مع هذه الايات ، فلما لم يجز ذلك لم يجز ان يريد الظلم ، ومما يدل على ان الله « تع » لم يرد الكفر والفجور، انا وجدنا المريد لشتمه نفسه سفيه غير حكيم ، فلما كان الله احكم الحاكمين علمنا انه لا يريد شتمه ولا سوء الثناء عليه، وايضاً فان الكفار اذا فعلوا ما اراد من الكفر كانوا محسنين . لان من فعل ما اراد الله « تع » فقد احسن ظلماً ام يجز ان يكون محسناً في شتمه الله ومعصيته له علمنا انه ام يفعل ما اراد الله ، وايضاً فانه لو جاز ان يريد الكفر به ويكون بذلك ممدوحاً لجاز ان يحب الكفر ويرضى به ويكون بذلك حكيماً ممدوحاً ، فلما لم يجز ان يرضى بالكفر ولا يحبه لم يجز ان يريده ، وايضاً فان من امر العباد بما لا يريده فهو جاهل فلما كان ربنا احكم الحاكمين علمنا انه لم يأمر بشيء لا يريده ، لان من امر بمدحه ولم يرد ان يفعله ونهى عن شتمه واراد ان يفعل فهو جاهل ناقص فلما كان الله احكم الحاكمين علمنا انه لا يريد ان يشتم ولا يثني عليه بسوء الثناء تعالى الله عن قولهم

علواً كبيراً .

« السفاسف ضد القول بالارادة ودحضها »

« فصل » في شبهة لهم قالوا : لواراد الله سبحانه من زيد الايمان فوقع خلافه وهو مراد الشيطان والعبد لكانا قد عجز الله ووجب ان يكونا اقدر منه .

والجواب عن ذلك انه يقال لهم لم قلتم ذلك . فان قالوا : لانا نعلم ان جند السلطان لو فعلوا مالا يريده لدل على عجزه وعدم قدرته . قيل لهم : انما صح ذلك لان السلطان لم يكن ممن يصح منه التكليف اوممن له قدرة على الانتصاف منهم في أي وقت اراد ولا يخاف الفوت ، ولم يكن ايضاً ممن يعلم مقدار الحسنة والجزآء عليها والسيئة والاخذ بها ، وايضاً فان السلطان يتألم اذا لم يقع مراده و يسر بوقوعه ؛ وكل هذه الاوصاف منتفية عن القديم ؛ ففرق بين الامرين ، ولم يكن للقياس الذي اعتمدوا عليه معنى في هذا الموضع ، وانما يجب ان يجمع بين المتساويين بعلة والامر هيهنا بخلاف ذلك ؛ ثم

يقال لهم انما كان يجب ان يكون عاجزاً لواراد منهم الطاعة ارادة اضطرار واجبار ثم لم تقع ؛ فاما اذا اراد ارادة البلوي والاختيار فهذا مالا يغبى (يخفى) الا على المسكين ، واذا كان ذلك كله فلا يكون منا التعجيز لله (تع) اذ فعل العباد مالا يريده من الكفر ولم يفعلوا مااراده من الايمان لانه لم يرد ان يحملهم عليه حملا ويلجئهم اليه الجاءفيكون منهم على غير سبيل التطوع ، وقد بين الله فى كتابه فقال : (ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين) فاخبر انه لوشاء لاحدث اية يخضع عندها الخلق ، ولكنه لوفعل ذلك مااستحقوا حمداً ولا جزاء ولا كرامة ولا مدحاً ؛ لان الملجأ لايستحق حمداً ولا جزاء وانما يستحق ذلك المختار المستطيع ، وقد بين الله ذلك فقال : « فلما رأو بأسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا مشركين » وقال الله عز وجل : « فلم يكن ينفعهم ايمانهم لما رأو بأسنا » فاخبر انه لاينفع الايمان اذ كان العذاب والالجاء ، وقال « تع » : « يوم يأتي بعض آيات ربك

لاينفع نفساً ايمانها لم تكن امنت من قبل اوكسبت في ايمانها خيراً » فاخبر انه لا ينفع الايمان فى حال الالجاء . وقال عز وجل :« حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لااله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين » وقال الله « تم » : « الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » فاخبر انه لاينفعه الايمان في وقت الالجاء والاكراه . وقال عز وجل : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً ، وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار » فاخبر انه لاتنفع التوبة في حال المعاينه ، وما اشبه ماذكرناه كثير ؛ ثم يقال لهم فاذا كان العبد بفعله مالم يرد الله قد اعجزه فيجب ان يكون بفعله مايريده قد اقدره ، ومن انتهى قوله الى هذا الحد فقد استغنى عن جداله وربحت مؤنته .

« الايمان وحقيقة المشيئة »

« فصل » فان سألوا عن معنى قوله تعالى « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » قيل لهم : معنى ذلك لوشاء ربك لالجأهم الى الايمان لكنه لوفعل ذلك لزال التكليف فلم يشاء ذلك بل شاء ان يطيعوا على وجه التطوع والايثار لاعلى وجه الاجبار والاضطرار وقد بين الله ذلك فقال . (افأنت تكره الناس) يريد اني انا اقدر على الاكراه منك ولكنه (لااكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وكذلك الجواب في قوله (ولو شاء ربك مافعلوه ، ولو شاء لهداهم اجمعين) وقوله . (ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر) ولو شاء لحال بينهم وبين ذلك ، ولو فعل ذلك لزال التكليف عن العباد لانه لايكون الامر والنهي الا مع الاختيار لامع الالجاء والاضطرار ، وقد بين الله بما ذكرنا من قوله (ان نشأ ننزل عليهم من

السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين فاخبرانه لوشاء لا كرههم على الايمان ، وقد بين ذلك ماذكرناه من قصة فرعون وغيره انه لم ينفعهم الايمان في وقت الاكراه ، وقد بين الله في كتابه العزيز انه لم يشأ الشرك وكذب الذين اضافوا اليه ذلك فقال (تع) (سيقول الذين اشركوا لوشاء الله مااشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء) فاخبروا انه انما اشركوا بمشيئة الله (تع) فلذلك كذبهم ، ولو كانوا ارادوا انه لوشاء الله لحال بيننا وبين الايمان لما كذبهم الله قال الله تكذيباً لهم (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا — يعني عذابنا — قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا — يعني هل عندكم من علم ان الله يشاء الشرك ثم قال — ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون) كقوله [قتل الخراصون] وقال عز وجل [مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون] يعني يكذبون ، وقال عز وجل [وقال الذين اشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء

كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسول الا البلاغ المبين] خبر ان الرسل قد دعت الى الايمان فلو كان الله تعالى شاء الشرك لكانت الرسل قددعت خلاف ماشاءالله فعلمنا ان الله لم يشأ الشرك ، فان قال بعض الاغبياء : فهل يشاء العبد شيئاً او هل تكون للعبد ارادة . قيل له : نعم قد شاء ما امكنه الله من مشيئته و يريد ما امره الله بارادته فالقوة على الارادة فعل الله والارادة فعل العبد ، والدليل على ذلك قول الله (تع) : [قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها] وقال (تع) : « فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا » وقال : (من شاء اتخذالى ربه مآبا) وقال : (ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك منهن من تشاء) وقال : [وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوء منها حيث يشاء] وقال : (كلا من حيث شئتما) وقال : « فاتوا حرثكم انى شئتم » وقال : (لو شئت لاتخذت عليه اجرا) وقال فيما بين ان

العبد قد يريد مايكره الله من ارادته فقال (يريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة) وقال : [ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما] وقال (ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة) فاخبر انهم لو ارادوا لفعلوا كما فعل من اراد الخروج . وقال : (يريدون ان يبدلوا كلام الله) وقال (يريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيداً) وقال : « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء » وماشبه ماذكرنا اكثر من ان نأتي عليه في هذا الموضع ، فان قال : فمامعنى قوله (وما تشاؤن الا ان يشاء الله) قيل له : ان الله ذكر هذا المعنى في موضعين ، وقد بينهما ودل عليهما باوضح دليل واشفى برهان على انها مشيئته في الطاعة فقال : (لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين) فهو عز وجل شاء الاستقامة ولم يشأ الاعوجاج ولا الكفر ، وقال في موضع اخر (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ، وما تشاؤن الا ان يشاء الله) فالله قد شاء اتخاذ السبيل ولم

يشأ العباد ذلك الا وقد شاء الله لهم ؛ فاما الصد عن السبيل وصرف العباد عن الطاعة فلم يشأ عز وجل ، و يقال لهم اليس المريد اشتمه غير حكيم . فمن قولهم نعم . قيل لهم : اوليس المخبر بالكذب كاذباً . فمن قولهم نعم . قيل لهم : وقد زعمتم ان الله يريد شتمه ويكون حكيما فلابد من الاقرار بذلك او يتركوا قولهم ، و يقال لهم : فما انكرتم ان يخبر بالكذب ولا يكون كاذبا ، فان منعوا من ذلك . قيل لهم : ولا يجب ان يكون حكيما بارادة السفه وارادة شتم نفسه ، ولا يجدون الى الفصل سبيلا ، فان اجازوا على الله ان يخبر بالكذب لم يأمنوا بعد اخباره عن البعث والنشور والجنة والنار انها كلها كذب ويكون بذلك صادقا ، ولا يجدون من الخروج عن هذا الكلام سبيلا ، و يقال لهم فما تريدون انتم من الكفار . فان قالوا : نريد من الكفار الكفر فقد اقروا على انفسهم بان يريدوا ان يكفر بالله و يجب عليهم ان يجيزوا ذلك على النبي (ص) بان يكون مريد الكفر بالله « تع » وهذا غاية سوء الثناء عليه

وان قالوا : ان الذي نريده من الكفار الايمان . قيل لهم : فايما افضل ما اردتم من الايمان او ما اراد الله من الكفر . فان قالوا : ما اراد الله خير مما اردنا من الايمان فقد زعموا ان الكفر خير من الايمان ، وان قالوا : ان ما اردنا من الايمان خير مما اراده الله من الكفر فقد زعموا انهم اولى بالخير والفضل من الله ، وكفاهم بذلك خزيا ، فيقال لهم فما يجب على العباد يجب عليهم ان يفعلوا ما تريدون انتم اوما يريد الله فان قالوا : ما يريد الله فقد زعموا ان على اكثر العباد ان يكفروا اذ كان الله يريد لهم الكفر ، وان قالوا : انه يجب على العباد ان يفعلوا ما نريد من الايمان ولا يفعلوا ما يريد الله من الكفر فقد زعموا ان اتباع ما ارادوا هم اوجب على الخلق من اتباع ما اراد الله ، وكفاهم بهذا قبحاً ، ولولا كراهة طول الكتاب لسألناهم في قولهم ان الله « تع » اراد المعاصي عن مسائل كثيرة يتبين فيها فساد قولهم وفيما ذكرناه كفاية والحمد لله رب العالمين .

« الاخبار المسددة لمذهب العدلية »

[فصل] ومما جاء من الحديث مايصحح مذهبنا في القضاء والمشيئة وغير ذلك . من ذلك ماذكرناه ماروي عنه (ص) انه قال لايؤمن احدكم حتى يرضى بقدر الله (تع) وهذا مصحح لقولنا لانا بقدر الله راضون وبالكفر غير راضين وروي عن عبد الله بن شداد [١] عنه (ص) انه كان يقول في دعائه اللهم رضني بقضائك وبارك لي في قدرك حتى لا احب تعجيل ما اخرت ولا تأخير ما عجلت ، والنبي (ص) لايجوزان يرضى بالكفر ولا بالظلم . وروي عنه (ص) انه قال سيكون في اخر هذه الامة قوم يعملون بالمعاصي حتى تقولون هي من الله قضاء وقدر فاذا لقيتموه فاعلموهم اني منهم بريء . وروي عنه (ص) انه قال له رجل بابي انت وامي متى يرحم الله عباده ومتى يعذب الله عباده ، فقال (ص)

(١) عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي عربي كوفي من خواص امير المؤمنين علي [ع] وعده صاحب « جامع الاصول » في الطبقة الثانية من كبار التابعين وثقاتهم قتل بدجيل سنة ٨٢ هـ ابن الاثير ج ٤ ص ١٨٣ .

يرحم الله عباده اذا عملوا بالمعاصي فقالوا : هي من الله قضاء وقدر . وقد روي عن عمر بن الخطاب انه أتي بسارق فقال ماحملك على هذا فقال قضاء الله وقدره فضربه عمر ثلاثين سوطاً ثم قطع يده فقال قطعت يدك بسرقتك وضربتك بكذبك على الله (تع) . وهذا خبر قد روته جميع الحشويه ومعضم رواة العامة ، ونقله احمد بن حنبل [١] وغيره من الرواة . وروي عن الإصبغ بن نباته [٢] قال لما رجع امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) من صفين قام اليه شيخ فقال ياامير المؤمنين اخبرنا عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء وقدر . فقال (ع)

(١) ابو عبد احمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني ينتهي نسبه الى ذي الثديه . اليه ينتمي المذهب الحنبلي . ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ وتوفي سنة ٢٤١ هـ من كتبه . العلل . التفسير . الناسخ والمنسوخ . الزهد . المسائل . الفضائل . الفرائض . الايمان . المناسك . الاشربة . طاعة الرسول . ابن النديم ص ٣٢٠

«٢» الاصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي . كان من خاصة امير المؤمنين علي (ع) واكابر التابعين وعمر بعده ، وروى عهد مالك الاشتر الذي عهده اليه علي «ع» لما ولاه مصر ، وروى وصية امير المؤمنين الى ابنه محمد ابن الحنفية ، وروى الدوري عند مقتل الحسين «ع»

والذي فلق الحبة وبره النسمة ماوطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً ولا علونا تلعة الا بقضاء وقدر . فقال الشيخ عند الله احتسب عنائي والله ماان ارى لي من الاجر شيئا ، فقال (ع) بلى ايها الشيخ لقد عظم الله اجركم بمسيركم وانتم سائرون وفي منصرفكم وانتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا اليها مضطرين . فقال وكيف لم نكن مضطرين والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا ومنصرفنا ، فقال [ع] ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حتما لوكان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله والنهي ولم تكن لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن ، ولم يكن المحسن اولى بالمدح من المسيء ، ولا المسيء اولى بالذم من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان ، وجند الشيطان ، وخصماء الرحمن ، وشهود الزور والبهتان ، واهل العمى عن الصواب ، وهم قدرية هذه الامة ومجوسها ؛ ان الله امر تخييرا ، ونهى تحذيرا ؛ وكلف يسيرا ؛ ولم يكلف عسيرا ؛ واعطى على القليل كثيرا ولم يعص

مغلوبا ؛ ولم يطع مكرها ؛ ولم يرسل الرسل لعبا ؛ ولم ينزل الكتب للعباد عبثا ؛ ولم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا « ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » فقال الشيخ فما القضاء والقدر اللذان ماسرنا الا بهما فقال (ع) ذلك الامر من الله والحكم ثم تلا هذه الاية [وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا] فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول :

انت الامام الذي نرجوا بطاعته
يوم النشور من الرحمن رضوانا
اوضحت من ديننا ماكان ملتبساً
جزاك ربك بالاحسان احسانا

وروي عن جابر [١] عن النبي (ص) انه قال يكون في

[١] جابر بن عبدالله بن عمر بن حرام الانصاري من وجوه الصحابة واعيانهم . شهد بدراً وثمان عشر غزوة مع النبي [ص] وعاصر خمسة من الائمة الاثني عشر (ع) وقداخبره بذلك رسول الله • مات ٨٨هـ كذا ذكر الطوسي في (رجاله) المخطوط • وقيل بسنة ٧٨هـ . ابن الاثير ج ٤ ص ١٨٣

اخر الزمان قوم يعملون بالمعاصي ثم يقولون الله قدرها علينا الراد عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل الله ، وروي ان رجلا جاء الى الحسن البصري [١] فقال : ياابا سعيد اني طلقت امرأتي ثلاثاً فهل لي من مخرج ، فقال ويحك ماحملك على ذلك قال : القضاء ، فقال الحسن كذبت على ربك وبانت منك امرأتك ، وروي ان الحسن البصري مر على فضيل بن برجان وهو مصلوب فقال : ماحملك على السرقة قال : قضاء الله وقدره . قال : كذبت يالكع ايقضي عليك ان تسرق ثم يقض عليك ان تصلب ؟ وروي ان ابن سيرين سمع رجلا وهو يسأل عن رجل اخر فقال : مافعل فلان فقال هو كما شاء الله فقال ابن سيرين لاتقل كما شاء الله ولكن قل كما يعلم الله لوكان كما شاء الله كان رجلاصالحا ، وما اشبه هذا اكثر من ان يحصي ولولم يكن

(١) ابو سعيد الحسن بن ابي الحسين يسار البصري . ولد بالمدينة ٣٠ هـ وتوفي ١١٠ هـ من التابعين وابوه مولى لزيد بن ثابت الانصاري المتوفى سنة ٤٥ هـ كان جميلا فصيحاً حتى قال ابوعمرو بن العلاء المتوفى ١٥٤ هـ مارأيت افصح من الحسن البصري .

ورد عن الرسول (ص) من الآثار مانعلم به بطلان مذهب القدرية والجبرية الا الخبر المشهور الذي تلقته الامة بالقبول ، وهو مارواه شداد بن اوس [١] قال : سمعت رسول الله (ص) يقول من قال حين يصبح اوحين يمسي اللهم انت ربي لااله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك مااستطعت اعوذ بك من شر ماصنعت واقر لك بالنعمة واقر على نفسي بالذنب فاغفرلي فانه لايغفر الذنوب الا انت ؛ وقال : ابن سيرين [٢] الرجل له مملوك لاتكلفه مالا يستطيع فان كرهته فبعه ؛ وقال (ص) اذا امرتكم بشيء (بأمر) فأتوا منه مااستطعتم ؛ وروي انه [ص] قال لفاطمة [ع] حين اخدمها غلاماً لاتكلفيه مالا يطيق ؛ وروي عنه [ص] انه قال

(١) ابو يعلى شداد بن اوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري ، صحابي ، كثير العباده ، كان فصيحاً حليماً توفي بالقدس سنة ٥٨ هعن عمر ٧٥ سنة . [٢] هو محمد بن سيرين البصري تولد ٥٥ ه وتوفي ١١٠ ه كان من المشاهير في عهده معبراً للرؤيا فقيهاً جليلا يكنى ابا بكر خلف ثلاثين ولداً ولم يبق منهم في حياته الا عبد الله .

استغفروا عن الشرك مااستطعتم ؛ وهذه الاخبار مما يستدل بها على بطلان مذهبهم [قولهم] في الاستطاعة وتصحيح قولنا ان الانسان « العبد » مستطيع ، وان الله لايكلف عباده مالا يطيقون ؛ وانما اوردناها لتكون رسالتنا هذه غير محتاجه الى غيرها في هذا المعنى ؛ ومن ذلك ايضا ماروي عن بنت رفيعة قالت بايعت رسول الله في نسوة فاخذ علينا مافي اية السرقة والزنا ان لايسرقن ولا يزنين الخ ثم قال فيما استطعتن واطقتن قالت : قلنا الله ورسوله ارحم بنا من انفسنا ؛ وذكر قتاده (١) قال بايع رسول الله (ص) اصحابه على السمع والطاعة فيما أستطاعوا وهذا يدل كل منصف على ان رسول الله واتباعه لم يلزموا العباد الطاعة الا فيما استطاعوا وكيف يجوز على ارحم الراحمين واحكم الحاكمين ان يكلف

[١] ابوالخطاب قتادة بن دعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن سدوس السدوسي البصري الاكمة ، من التابعين نسابة . ادرك دغفل بن حنظلة النسابة المعاصر للنبي (ص) ولد سنة ٦٠ ه وتوفي بواسط سنة ١١٧ ه وقيل ١١٨ ه

عبادة مالا يطيقون وانه يلزمهم مالا يجدون ، وروي عن النبي (ص) انه قال اول ماتبين من ابن ادم بطنه فمن استطاع ان لايدخل بطنه الا طيباً فليفعل ، وقال (ص) من استطاع منكم ان يقي وجهه حر النار ولو بشق تمرة فليفعل فلم يرغبهم الا فيما يستطيعون ، وروي عن ابن عباس[١] قال : قال رسول الله « ص » الا انبئكم باعز الناس قالوا بلى يارسول الله قال الذي يعفو اذا قدر فبين انه انما يكون العفو اذا قدر العبد واذا لم يقدر فلا يكون العفو ، وقد قال الله « تع » : « فاعفوا واصفحوا » وقال : « فاعف عنهم واصفح » وقال : « خذ العفو وامر بالعرف » فعلمنا انه كان يقدر على ان يعاقب فامره

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي . حبر الأمة ، الصحابي الجليل من شيعة امير المؤمنين علي (ع) ولد بمكة سنة ٣ ق هـ وتوفي بهاسنة ٦٨ هـ . كان الخليفة عمر اذا اعضلت عليه قضيه دعا ابن عباس وقال له : انت اوما ولامثالها. ثم يأخذ بقوله . ينسب اليه كتاب في تفسير القران ـ ط ـ جمعه بعض اهل العلم من مرويات المفسر بن عنه في كل اية فجاء تفسيراً حسناً . واخباره كثيرة [الأصابة] ج ٢ ص ٣٣٠ ـ ٣٣٤

الله لذلك بالعفو ولا يجوز ان يعفو عما لا يقدر له على مضرة ولا على منفعة ، وروي عنه انه قال : من كظم غيظاً وهو قادر على امضائه ملاء الله قلبه يوم القيمة رضى ، وروى ابن عباس في قوله « وقد كان يدعون الى السجود وهم سالمون » قال : وهم مستطيعون في دار الدنيا . وروي عنه «ص» انه قال : يسروا ولا تعسروا واسكنوا ولا تنفروا . خير دينكم اليسر ، وبذلك اتاكم كتاب الله ، قال الله : « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ويريد الله ان يخفف عنكم » واعلموا رحمكم الله انه لو كان كلف خلقه « عباده خ » مالا يستطيعون كان غير مريد بهم اليسر ، وغير مريد التخفيف عنهم لانه لا يكون اليسر والتخفيف في تكليف مالا يطاق ، وروي عن سعيد بن عامر بن حذيم « ١ » لما استعمله عمر بن الخطاب على بعض كور الشام خرج معه يوصيه فلما انتهى الى المكان قال له سعيد : وانت

(١) هو سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي القرشي : صحابي . من الولاة شهد فتح خيبر ، وولاه الخليفة عمر إمرة حمص بعد افتتاح الشام . وتوفي بها سنة ٢٠ هـ .

فاتق الله وخف الله في الناس ، ولا تخف الناس في الله واحب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك واهل بيتك واقم وجهك تعبداً لله ولا تقض بقضاء بين مختلف عليك امره وتنزع الى غير الحق وخض الغمرات الى الحق ولا تخف في الله لومة لائم ، فاخذ عمر بيده فاقعده ثم قال ويحك من يطيق هذا ، فانظر كيف وصاه وامر بأن يفعل الخير ويجتهد في تحصيله ، وما اشبه هذا من الحديث اكثر من ان يحصى ، والحمد لله والصلوة على آل الله .

انتهى

أعلام الكتاب

اعلام الكتاب

صحيفة | ﴿ فهرس مواضيع الكتاب ﴾

﴿فهرس مواضيع الكتاب﴾	صحيفة

استقصاء النظر

في القضاء والقدر

تأليف

العلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ

نشره وصححه وعلق عليه

علي الخاقاني النجفي

عضو منتدى النشر

١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م

مطبعة الراعي

في النجف

آية الله العلامة الحلي

المتولد سنة ٦٤٨ هـ والمتوفى سنة ٧٢٦ هـ

هو ابو منصور جمال الدين الحسن بن سديد الدين يوسف ابن علي بن مطهر المعروف بالعلامة ، اشهر مشاهير الشرق في القرن السابع للهجرة ، انتهت اليه رئاسة الشيعة الامامية في عصره .

ولد بالحلة في رمضان ونشأ بها فقرء القرءان المجيد وتعلم الكتابة على معلم خاص يدعى [محرم] واخذ يدرس مبادي العلوم على والده وجماعة من جهابذة عصره .

تلمذ في المنطق على يد نجم الدين الكاتبي القزويني ، وفي الكلام على خاله المحقق الحلي وجمال الدين حسين بن ابان النحوي ، وفي الرياضيات على الخواجة نصير الدين الطوسي والشيخ ميثم البحراني ، وفي الفقه على الشيخ نجيب الدين يحيى صاحب الجامع المتوفى سنة ٦٧٩ هـ والسيدين الجليلين جمال الدين احمد ورضي الدين علي بن طاووس ، وفي المعاني والبيان وسائر العلوم العربية على برهان الدين النسفي .

يروي عن جماعـة منهم مفيد بن الجهم الـكوفي ، ونجيب الدين محمد بن نما المتوفى سنة ٦٤٥ هـ ، والسيد عبد الـكريم الطاووسي المتوفى سنة ٦٩٣ هـ .

وآثاره العلمية كثيرة فقد ذكر صاحب [مجمع البحرين] في مادة [علم] قال وجد بخط العلامة ٥٠٠ مجلد من مصنفاته غير الذي بخط غيره ، ولنذكر لك اسماء البعض منها (١) كتاب مختلف الشيعة في احكام الشريعة (٢) الالفـين الفارق بين الصدق والمين — ط - (٣) منهاج الكرامة — ط — (٤) شرح تجريد الاعتقاد— ط ٢ — (٥) منتهى المطلب في تحرير المذهب [٦] مصباح الانوار في الحديث يقع في سبع مجلدات ضخام [٧] نهج العرفان في علم الميزان [٨] القواعد والمقاصد في المنطق والطبيعيات والالهيات [٩] الاسرار الخفية في العلوم الالهية يقع في ٣ اجزاء توجدمنه نسخة بخط العلامة في النجف

علي الخاقاني

عضو منتـدى النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم الغفار ، القديم القهار ، العظيم الستار ، الذي خلق الانسان ومنحه بالاقتدار ، وانعم عليه بالتكليف المستند الى الارادة والاختيار ، ووعده على فعل الطاعة عقبى الدار ، وتوعده على المعصية بدخول النار ، جزاء على افعاله بمقتضى العدل من غير كره ولا اجبار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي المختار ، المبعوث من ولد معد بن نزار ، وعلى عترته الاماجد الاطهار ، المعصومين عن الخطأ والزلل حالتي الايراد والاصدار ، صلوة تتعاقب عليهم تعاقب الاعصار ،

اما بعد : فانه لما كان السلطان الاعظم الحاكم في رقاب الامم ، سلطان سلاطين العرب والعجم شاهنشاه المعظم ، غياث الملة والحق والدين ، الجايتو خدا بنده محمد مالك وجه الارض ثبت الله ملكه الى يوم النشر والعرض ، وايده الله بالالطاف الربانية ، وامده بالعنايات الالهية ، وقرن دولته بالخلود ، الى اليوم

الموعود ، ولا زالت الرقاب خاضعة لعضمته ، والقلوب خاشعة لهيبته ، والدنيامعمورة بدوام دولته ، والاحكام نافذة على وفق ارادته ، والاملاك متوجهة نحو كعبته ، والنصر محفوظ بالوتية ، بمحمد وعترته ، قد منحه الله بالقوة القدسية ، وخصه بالكمالات النفسانية ، والقريحة الوقادة ، والفكرة الصحيحة النقادة ، وفاق في ذلك على جميع الامم ، وزاد علماً وفضلا على فضلاء من تأخر وتقدم ، والهمه الله العدل في رعيته ، والاحسان الى العلماء من اهل مملكته ، وافاضة الخير والانعام على جميع الانام ، وبرز حكمه النافذ في الاقطار ، لازال ممتثلا في جميع الاعصار ، لما امرني بسطر الادلة الدالة على ان للعبد اختياراً في افعاله وانه غير مجبر عليها ، قابلت ذلك الامر المطاع بالامتثال والاتباع ، وسارعت الى انشاء هذه الرسالة المسماة بـ [استقصاء النظر في البحث عن القضاء والقدر] المشتمل على حجج الفريقين وادلة الخصمين ، واوضحت الحق منها بالبرهان الواضح والدليل اللايح ، قاصداً في ذلك تحقيق الحق وارتكاب

نهج الصدق ، واستعمال الانصاف ، واجتناب البغي والاعتساف ، وطلب الحق كيف كان ، والوصول اليه بقدر الامكان ، والله الموفق المعين ، وقبل الخوض في الادلة نقرر محل النزاع فنقول .

مذاهب جهم والاشاعرة والنجارية في افعال العباد

ذهب جهم بن صفوان الى انه لافعل للعبد البته وان الفاعل لجميع الاشياء هو الله (تع) لاغير ولا قدرة للعبد ، وذهب الاشاعرة والنجارية الى ان الله هو الموجد للافعال باجمعها لكن العبد مكتسب لافعاله ، واثبتوا للعبد قوة غير مؤثره في الفعل بل الفعل صادر من الله (تع) ؛ وهذا في الحقيقة مذهب جهم ابن صفوان ، لكن لما رأى ابو الحسن الاشعري (١) ان

[١] ابو الحسن علي بن اسماعيل بن اسحق الاشعري ؛ اليه ينتمي المذهب الاشعري ، كان معتزلياً ثم انقلب لمنافرة حدثت بينه وبين ابي علي الجبائي المتوفى ٣٠٣ هـ . تولد سنة ٢٦٠ هـ وتوفي سنة ٣٢٤ هـ له كتب منها . اللمع . الموجز . ايضاح البرهان . التبيين عن اصول الدين .

الشناعة تلزمه من اسقاط فائدة التكليف وعدم الفرق بين حركتنا يمنة ويسرة وصعودنا الى السماء اعتذر باثبات القدرة، لكن لما لم يجعل لها أثراً ساوى قول جهم بن صفوان ·

مذهب الامامية والمعتزلة في العدل

اما الامامية والمعتزلة : فانهم قسموا الافعال الى مايتعلق بقصودنا ودواعينا وارادتنا واختيارنا كحركتنا الاختيارية الصادرة عنا كالحركة يمنة ويسرة والى مايتعلق بقصودنا ودواعينا كالاشياء التي يفعلهاالله فينامن الالوان وحركة النمو والتغـذية وحركة القبض وغير ذلك ، وهو مـذهب الحكماء والحق انا نعلم بالضرورةانا فاعلون ، ويدل عليه العقل والنقل ·

البراهين العقلية لمذهب العدلية

اما العقل : فوجوه . *(١)* انا نعلم بالضرورة الفرق بـين حركتنا الاختيارية والاضطرارية وحركات الجماد ونعلم بالضرورة قدرتنا على الحركة الاولى كحركتنا يمنـة و يسرة وعجزنا عن

الثانية كحركتنا الى السماء وحركة الواقع من شاهق وانتفاء قدرة الجماد ، ومن اسند الافعال الى الله نفى الفرق بينهما ويحكم بنفي ماقضت الضرورة بثبوته. قال ابو الهذيل العلاف : (١) ونعم ماقال: حمار بشر اعقل من بشر لان حمار بشر لواتيت به الى جدول صغير وضربته فانه يطفره ، ولواتيت به الى جدول كبير وضربته فانه لايطفره ويروغ عنه لانه فرق بين مايقدر على طفره و بين مالا يقدر عليه ، وبشر لايفرق بين المقدور له وغير المقدور .

﴿ ٢ ﴾ انه لوكانت الافعال كلها منسوبة الى الله (تع) لم يبق عندنا فرق بين من احسن الينا غاية الاحسان وبين من اساء الينا غاية الاسائة طول عمره ، وكان يقبح منا مدح الاول وذم الثاني لان الفعلين صادران عن الله لاعن الفاعلين ، ولما علمنا بطلان ذلك وانه يحسن منا مدح الاول وذم الثاني علمنا

(١) ابو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن العلاف بن مكحول العبدي البصري مولى عبد القيس . من كبار المعتزلة وشيوخهم اليه تنتمي الفرقة (الهذيلية) من المعتزلة . تولد سنة ١٣١ ه وتوفي سنة ٢٣٥ ه

ان العلم باستناد الافعال الينا قطعي لاسبيل للشك فيه .

﴿٣﴾ انه لو كانت الافعال صادرة عن الله قبح منه ان يأمرنا وينهانا ويكلفنا كما انه يقبـح من احـدنا امر الزمن بالطيران الى السماء لانا عاجزون عن الافعال لاستحالة صدورها عنا كما ان الزمن عاجز عن ذلك فكما انه يقبح منا امر الواقع من شاهق بالحركة والسكون كذا يقبح امر المكلف بالطاعة واجتناب المعصية لعجزه عنها ووقوعها لغيره لكن الله قد امر ونهى وانذر وحذر ووعد وتوعد ، وكيف يحسن منه ان يقول (تع) (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدة منهما مائة جلدة) : (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) وهو الذي فعل الزنا والسرقة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

﴿ ٤ ﴾ ان افعالنـا نعلم بالضرورة انها تقع عند قصودنا ودواعينا وتنتفي عند كراهتنا وصوارفنا فاذا اردنا الحركة يمنة فعلناها ولم يقع منا سكون ولا حركة يسرة ، ولولا اسنادها الينا لجاز ان يقع وان كرهنا وان لاتقع وان اردناها .

﴿٥﴾ انه يلزم منه ان يكون الله في غاية من الظلم للعباد والجور تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، لانه يخلق فينا المعاصي وانواع الكفر والشرك ويعذبنا عليها ولا فرق بين خلقه الكفر في الكافر وخلق لونه وطوله فكما يلزم الظلم لو عذبه على لونه وطوله فكذا يلزم الظلم لو عذبه على الكفر الذي خلقه فيه ، وقد نزه الله نفسه ، وقال عز من قائل : (وما ربك بظلام للعبيد) : (وما الله يريد ظلماً للعباد) ولا ظلم اعظم من تعذيب الغير على فعل يصدر من الظالم لا حيلة للمظلوم فيه ولا يتمكن من تركه ، ومن اغرب الاشياء واعجبها انهم ينزهون انفسهم عن المعاصي والكفر وانواع الفساد و ينزهون ابليس عن ذلك ايضاً و يصفون الله تعالى بذلك ، وقد كذبهم الله (تع) في كتابه العزيز فقال عز وجل : (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) وقال الله (تع) : (ولا يرضى لعباده الكفر) والاشاعرة يقولون انه يريد منهم الكفر ، واي عاقل يرضى لنفسه مذهباً يلزم منه

تكذيب الله [تع] .

﴿٦﴾ انه يلزم منه ان يكون الكافر مطيعاً لله [تع] بكفره لأنه قد فعل ماهو مراد الله وهو الكفر ولم يفعل ما يكرهه الله وهوالأيمان ، لأن الأيمان عندهم غير مراد الله من الكافر بل هو مما يكرهه [تع] واي عاقل يرضى لنفسه اعتقاد ان الكفر طاعة وان الأيمان معصية ،نعوذ بالله من ذلك .

﴿٧﴾ انه يلزم منه نسبة السفه الى الله [تع] وانه يفعل ضد الحكمة لأن العقلاء انما يأمرون الغير لما يريدون ايقاعه منه وينهون عما يكرهون ايقاعه منه ، وان من اراد من غيره فعلا ونهاه عنه ومن كره من غيره فعلا وامره به نسبه العقلاء الى الجور والسفه .

دفع شبهة الاشاعرة في الايمان والارادة

واما الاشاعرة يقولون : ان لله [تع] كره الأيمان من الكافر وامره به واراد الكفر منه ونهاه عنه ، واي عاقل يرضى لنفسه نسبة السفه الى الله وهو الحكيم في افعاله كما قال الله

[تع] : [ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت] ووصف نفسه بانه حكيم ، وقولهم يضاد ذلك فان اعتذروا بان الأمر قد يتحقق بدون الأرادة كما في السيد اذا ضرب عبده وطلب السلطان الانتقام منه فاعتذر بأنه يطيعني فيقول له السلطان: مره حتى اعرف عدم طاعته فان السيد اذا أمره لم يرد منه الفعل. قلنا هذا خطأ من وجوه ثلاثة :

﴿١﴾ انه مثال جزئي لا نظير له ولا مثال سواه فكيف يصح منا قياس او امر الله ونواهيه واوامر العقلاء ونواهيهم على هذا المثال الجزئي النادر مع ان جميع الأوامر والنواهي لاينفك عن الأرادة والكراهة .

﴿٢﴾ انا نمنع امر السيد هيهنا بل يوجد صيغة الامر ولا يأمره امراً حقيقياً .

﴿٣﴾ ان السيد كما لا يريد الفعل كذا لا يطلبه فان السيد يطلب اقامة عذره وتمهيده عند السلطان وليس ذلك بطلب الفعل كما انه ليس بارادته فاذا امتنعت ارادته كذا يمتنع

الطلب مع اتفاقهم على اثبات طلب الفعل منه تعالى .

﴿ ٨ ﴾ يلزم ان يعذب الله (تع) سيد المرسلين العذاب الدائم ويخلد ابليس وفرعون الجنان ويورثهما اياها حيث انه لا مدخل للطاعة والمعصيه في استحقاق الثواب والعقاب عندهم فتبطل جميع التكاليف ويلتجىء كل عاقل الى الراحة من التكاليف وفعل انواع الملاذ والمعاصي والمناهي المحرمة وترك التكاليف الشاقة اذلافرق بين ارتكاب المشاق وامتثال الاوامر بالطاعات وبين ارتكاب انواع الفسوق بل يجب الحكم بسفه الزاهد العابد المنفق امواله في اصناف الخير من بنـاء المساجد والربط والمدارس لانه يجعل لنفسه ارتكاب المشقـة وما يحتاج اليه من الاموال لغرض لايحصل بفعل ذلك بل قد يحصل له به العذاب ويترك الراحة والملاذ والملاهي مع انه قد يحصل به النعيم السرمدي ، واي عاقل يرضى لنفسه نعوذ بالله من هذا المذهب المؤدي الى خراب العالم واختلاف نظام انواع الانسان واضطراب امر الشريعة المحمدية صلى الله عليه واله .

﴿٩﴾ انه يلزم منه الكفر وعدم الجزم بصدق الرسول (ص) وانتفاء الوثوق بشيء من الشرايع والاديان لأن الكفر والاظلال وجميع المعاصي وانواع الفسوق ودعوى الكذابين في النبوة صادرة عنهم واقعة بارادة الله فجاز ان يكون محمد (ص) وغيره من الأنبيآء كموسى وعيسى (ع) وغيرهما قد ادعوا النبوة وهم كاذبون والله (تع) خلق المعجز عقيب دعواهم لاضلال الخلق لان العصاة (الغلاة) والفساق والكفار في العالم اكثر من المطيعين لقوله (تع) : (وقليل من عبادي الشكور) : (وقليل ماهم) فتكون عادة جارية بالاضلال فكيف يعرف صدق الانبياء حينئذ واي طريق يوصلنا الى ذلك مع علمنا بانه يضل العالم ويفعل بهم ضد الحق ولا يريد هدايتهم ولا ارشادهم فنعوذ بالله من المصير الى مثل هذا المذهب المؤدي الى مثل ذلك .

﴿١٠﴾ الاشاعرة شاكون في حصول النجاة لهم ولانبيائهم إذ لا يمكنهم الجزم بذلك فان الثواب والعقاب غير مستحقين

عندهم بفعل الطاعات والمعاصي بل جاز ان يعذب المؤمن بل الانبياء و يثبت الكافر على ماتقدم والشك كفر نعوذ بالله من ذلك .

﴿ ١١ ﴾ يلزم منه ان يصف الله (تع) نفسه بوصف غير متحقق له وذلك كفر ، بيان ذلك لو كان الله مستحقاً لعقاب العصاة بحيث يتحقق باسقاطه العقاب العفو والرحمة ، والاقاين يتحقق اذا لم يكن مستحقاً لعقاب العصاة وانما يستحق العقاب لو كان العصيان مستنداً الى العبد اما اذا كان مستنداً الى الله واقعاً بارادته لم يكن له على العاصي حق .

﴿ ١٢ ﴾ اذا كانت الافعال واقعة بارادته وقدرته (تع) كيف يتحقق الظالم من العباد وكيف يستحق احد اللعنة من الله ومن العباد ، وكيف يحسن منه (تع) ان يقول الالعنة الله على الظالمين ، واي ذنب للظالم في ظلمه اذا كان من فعله (تع) وكيف يحسن لعنته وامر العباد بها .

(١٣) انه يلزم من مذهب الاشاعرة عدم التدين بشيء

من الشرائع والاديان لابدين الاسلام ولا بغيره من شرائع الانبياء السابقين لأن مبنى الأديان على صدق الأنبياء (ع)، وانما يتم صدق النبي بمقدمتين لايذهب اليهما الاشاعرة (١) ان الله فعل المعجز على يد مدعي الرسالة لاجل تصديقه والغرض صحة دعواه (٢) ان كل من صدقه الله فهو صادق.

اما المقدمة الاولى، فاستعمل الناس فيها قياس الغائب على الشاهد وقالوا: لوان شخصاً ادعى انه رسول السلطان الى رعيته ثم قال: ايها السلطان ان كنت رسولك حقاً فانزع خاتمك من اصبعك، فنزع السلطان خاتمه من اصبعه وكرر ذلك مراراً فان الحاضرين ان علموا ان السلطان نزع خاتمه لغرض تصديقه حكموا بانه ارسله الى الرعية، وان علموا انه نزعه للراحة وللعبث اولأمر اخر لالغرض تصديقه فانهم لايحكمون بأنه قدصدقه. كذلك النبي (ص) اذا ظهر وادعى الرسالة وخلق الله المعجزة على يده إن علم الناس انه (تع) لم يفعل ذلك لغرض تصديقه لم يحكموا بصدقه، والاشاعرة منعوا هذه المقدمة وقالوا: ان الله

لايجوز ان يفعل من الاشياء لغرض البته فكيف يتحقق حينئذ العلم بصدق مدعي الرسالة .

واما المقدمة الثانية : فان المعتزلة التجأوا فيها الى حكم العقل من قبح تصديق الكذاب فاذا صدق تعالى مدعي الرسالة علمنا انه صادق لاستحالة القبح عليه ، وهذه المقدمة لاتتمشى على مذهب الاشاعرة لان القبائح كلها مستندة اليه (تع) عندهم فجاز ان يصدق الكذاب فلا يتحقق العلم بصدق النبي الصادق.

﴿١٤﴾ الاشاعرة لم يرضوا بقضاء الله وقدره وحرموا ذلك على العباد لان الله قضى بالكفر على الكافر و بالمعصية على العاصي وحرموا الرضا بالكفر والعصيان . (اما الامامية) فرضوا بقضاء الله وقدره لانه (تع) انما يقضي بالحق و يقدره وحاشا لله ان يقضي بالباطل .

﴿ ١٥ ﴾ قول الاشاعرة يلزم منه انتفاء الوثوق بوعد الله ووعيده ، وتنتفي فائدة بعثة الانبياء ، لان انواع المعاصي عندهم صادرة منه تعالى ومن جملتها الكذب فجاز ان يكون خبره

بالوعد والوعيد كذباً فلا يبقى في بعثة الانبياء فائدة ، وذلك فساد عظيم،تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

﴿١٦﴾ لو كانت الافعال مخلوقة لله (تع) لزم تكليف مالا يطاق وهو قبيح عقلا والسمع قدمنع منه فقال تعالى:(لايكلف الله نفساً الا وسعها) . .

﴿١٧﴾ ان الله خلق العالم عند الامامية والمعتزلة لحكمة ظاهرة ، وهو ايصال الجود الى خلقه ، فانه قد ثبت انالوجود خير،والعدم شر، ولاظهار رحمته ،واطف عنايته،يطالب بمعرفته كما قال الله في كتابه العزيز: (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ثم ارسل الرسللارشاد العباد الى كيفيةعبادته على الوجوه الشرعية لعجز العقول عن تفاصيل العبادات فيثيب المطيع بهم،ويعاقب المخالف والمعاند، وانما يتم ذلك كله لوكان الله يفعل لغرض وكان للعبد اثر في افعاله ، وعلى قول المجبرة لايتم ذلك لانه (تع) عندهم لايفعللغرض ولا اثر للعبداليه .

﴿ ١٨ ﴾ انه يلزم منه افحام الانبياء لان النبي (ص) اذا

قال للكافر آمن بي ، قال له الكافر : قل للذي بعثك يخلق في الايمان بدل الكفر لأني لاقدرة لي على مقاهرة القديم فينقطع النبي « ص » .

مذهب العدل ودلالة الكتاب

واما المنقولة : فوجوه . ﴿ ١ ﴾ الآيات الدالة على مدح المؤمن على إيمانه وذم الكافر على كفره، والوعد بالثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية كقوله تعالى : [وابراهيم الذي وفى . انه كان عبداً شكوراً . ان ابراهيم لاواه حليم . وانك لعلى خلق عظيم . فويل للذين كفروا . تبت يدا ابي لهب . ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون].

﴿٢﴾ الآيات الدالة على المجازاة على الافعال . قال الله تعالى : [اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . اليوم تجزون بما كنتم تعملون . ولا تزروا وازرة وزر اخرى . لتجزى كل نفس بما تسعى . هل جزاء الاحسان الا الاحسان . هل تجزون الا ما كنتم تعملون . من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ، ومن جاء

بالسيئة فلا يجزى الا مثلها . ليوفيهم اجورهم . ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا . وجزاء سيئة سيئة مثلها . اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى . اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا . لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت . لمثل هذا فليعمل العاملون] ولولا ان يكون العبد فاعلا لم يستحق الجزاء من ثواب وعقاب ، ولم يتحقق المجازاة والمقابلة بازاء الافعال .

﴿٣﴾ الآيات الدالة على ان افعال العباد مستندة اليهم وصادرة عنهم . كقوله تعالى: [فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم . ان يتبعون الا الظن . ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغير مابأنفسهم . بل سولت لكم انفسكم امراً . فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله . من يعمل سوء يجز به . كل امرء بما كسب رهين . ما كان عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي، الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور . يا ايها الذين آمنوا

اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فا كتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب. ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون] .

﴿ ٤ ﴾ ان الله [تع] نزه نفسه عن ان تكون افعاله مثل افعال المخلوقين من التفاوت والاختلاف فقال الله : [ماترى في خلق الرحمن من تفاوت . الذي احسن كل شيء خلقه ثم هدى] والكفر ليس بحسن .

﴿٥﴾ انه (تع) نزه نفسه عن الظلم . فقال الله : [ان الله لا يظلم مثقال ذرة . وما ربك بظلام للعبيد . وماظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون . ولا يظلمون فتيلا . ولا يظلمون نقيرا . وما الله يريد ظلماً للعباد].

﴿ ٦ ﴾ انه (تع) ذم عباده على الكفر والمعاصي الصادرة منهم وو بخهم على ذلك وعنفهم عليه فقال الله : [كيف تكفرون بالله] و يقبح منه (تع) ان يخلق الكفر في الكافر و يوبخه عليه مع عجز العبد عن مقاهرته (تع) وايقاع خلاف ارادته،

وكيف يحسن منه ان يقول [وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جائهم الهدى] وهو المانع لهم ، ويقول لابليس [مامنعك الا تسجد اذ أمرتك] وقد كان لأبليس ان يلتجيء الى قوله انت المانع والقاهر على ترك السجود ، ولا أتمكن من مقاهرتك ، ولم يعتذر بالافتخار على ادم (ع) ، ومثل هذا الانكار كمثل شخص حبس عبده في بيت وجعله بحيث لايتمكن من الخروج عنه ثم يقول مامنعك من الخروج عنه الى قضاء اشغالي ، ويعاقبه على ترك ذلك بأنواع العقوبات ولا شك عند العقلاء ان هذا قبيح . وقال الله : [وماذا عليهم لو آمنوا] وقول موسى : [مامنعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني] وقال : [فمالهم عن التذكرة معرضين . فمالهم لايؤمنون . لم تحرم ما احل الله لك. لم اذنت لهم]. الى غير ذلك من الايات .

(٧) الأيات الدالة على العفو كقوله (تع) : [عفى الله عنك . ويغفر لكم ذنوبكم . ويغفر مادون ذلك لمن يشاء]، وانما يتحقق العفو والغفران لو صدر الذنب عن العبد .

﴿٨﴾ الأيات الدالة على الانكار كقوله تعالى « لم تلبسون الحق بالباطل . لم تصدون عن سبيل الله . أنى تصرفون . أنى تؤفكون . لم تكفرون » وكيف يحسن منه « تع » التعنيف على ذلك الكفر وهو الفاعل له وكيف يحول بين العبد والايمان ثم يقول : « وماذا عليهم لو آمنوا » وذهب بهم عن الرشد ثم قال : « فاين تذهبون » وكيف يصدهم عن الدين حتي يعرضوا ثم يقول « فما لهم عن التذكرة معرضين » .

﴿٩﴾ الأيات الدالة على أنه « تع » خير عباده في افعالهم وجعلها معلقة بمشيئتهم فقال الله : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . اعملوا ماشئتم . لمن شاء منكم ان يتقدم اويتأخر . فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا . فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا » .

﴿١٠﴾ الأيات الدالة على انكار من نفى المشيئة عن نفسه واضافها الي الله فقال : « سيقول الذين اشركوا لوشاء الله ماشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء . وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم » .

﴿١١﴾ الآيات الدالة على انه « تع » امر عباده بالمسارعة الى الطاعات فقال : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين . فاستبقوا الخيرات . والسابقون السابقون اولئك المقربون ».

﴿١٢﴾ الآيات الدالة على امر العباد بالافعال « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واقيموا الصلاة . اجيبوا داعي الله وآمنوا بالله استجيبوا لله والرسول . اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير . وآمنوا خيراً لكم . واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم . وانيبوا الى ربكم » .

﴿١٣﴾ الآيات الدالة على حث الله عباده على الاستعانة به فقال : « اياك نعبد واياك نستعين . واستعينوا بالله . فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وكيف يجوز ان يخلق فينا الكفر والظلم وانواع المعاصي ويأمرنا بالاستعانة به ، والاستعاذة من الشيطان ، والشيطان مبرء عندهم من فعل شيء البته ويأمرنا بالاستعاذة منه ، وقد كان الواجب في قولهم الاستعانة بالشيطان

والاستعاذة به من الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ؛

﴿ ١٤ ﴾ الآيات الدالة على فعل الله اللطف للعباد . قال الله تعالى : (اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين . ولولا ان يكون الناس امة واحدة ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض . فبما رحمة من الله لنت لهم . ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر) واذا كانت الأفعال من الله فاي فائدة يقع في اللطف المقرب اليه مع انها من فعله تعالى .

﴿١٥﴾ الآيات الدالة على اعتراف الكفار والعصاة باستناد افعالهم اليهم كقوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم — الى قوله — انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جائكم بل كنتم قوماً مجرمين) وقوله تعالى : ماسلككم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين . الآية ، وقوله (تع) (كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير ؟ قالوا : بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء . اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب — الى قوله — فذوقوا

العذاب بما كنتم تعملون . فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) وغير ذلك من الأيات .

﴿١٦﴾ الأيات الدالة على تحسر الكفار في الاخرة والندم على المعصية والكفر وطلب الرجوع الى الدنيا ليفعلوا الخروج مع انهم في المرة الثانية مقهورون على فعل الكفر والمعاصي، فاي فائدة لهم في ذلك ، وقد كان طريق الاعتذار ان هذه الافعال ليست صادرة عنا باختيارنا بل هي من فعل الله وقضائه ، ولا اختيار لنا فيها . قال الله تعالى : (وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون . قال رب ارجعوني لعلي اعمل صالحاً فيما تركت . او تقول حين ترى العذاب لوان لي كرة فا كون من المحسنين] .

﴿١٧﴾ الأيات الدالة على نكس رؤوس الكفار واستحيائهم من الله كقوله تعالى : (ولو ترى اذ المجرمون نا كسوا رؤسهم عند ربهم) واي موجب لنكس رؤوسهم والحياء اللاحق بهم مع انهم غير قادرين على ترك المعصية وانها من فعل الله تعالى .

﴿ ١٨ ﴾ القرءان انما انزل حجة لله على عباده وكذا ارسال الرسل . قال الله : [لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، واي حجة اعظم على الله من حجة الكفار ، فان لهم ان يقولوا كيف تأمرنا بالايمان وقد خلقت فينا ضده ، وانه لاقدرة لنا عليه ولا على ان نقهر [مخالفة] مرادك ، وكيف تنهانا عن الكفر وقد خلقته فينا ، واي عذر لله تعالى عن ذلك ، وما يكون جوابه تعالى ، وما عند الاشاعرة عن هـذا الالزام . وماحسن قول امير المومنين علي بن ابي طالب (ع) لما سأله الشامي : اكان مسيرك الى الشام بقضاء الله وقدره فقال (ع) ويحك ، لعلك ظننت قضاءاً لازماً وقدراً حاتما ، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ان الله سبحانه وتعالى امر عبـاده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ، ولم يكلف عسيرا ، واعطى على القليل كثيرا ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرها ، ولم يرسل الانبياء لعبا ، ولم ينزل الكتب للعباد عبثا ، ولاخلق السموات والارض وما بينهماباطلا [ذلك

ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار] فانظر الى توبيخه (ع) الشامي وتدبر قوله ويحك ، مع أنها كلمة توبيخ حيث ظن القضاء اللازم ، ثم قوله : لوكان قضاءاً لازماً لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد لانه يكون ظلماً من الله تعالى ، والله منزه عنه ، وكما انه يسقط الثواب والعقاب والوعد والوعيد على الاحسان والاعواض التي لايقدر عليها غير الله فكذا يجب ان يسقط ذلك على خلق الطاعة والمعصية صادراً عن الله ، ولكن لما ثبت الوعد والوعيد والثواب والعقاب دل على بطلان القول بالقضاء اللازم ، ثم انظر الى قوله (ع) امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا ؛ فانه [تع] لم يقهر عباده على فعل الطاعة ، ولا على اجتناب المعصية ، ولوكان ذلك لبطل التكليف وكان الفعل مستنداً الى الله بل امر عباده بأن يوقعوا الفعل على اختيارهم وارادتهم ، فان فعلوه أثابهم ، وان تركوه ، عاقبهم ، وكذا حذرهم في النهي أنهم متى فعلوا المنهي عنه عذبهم ؛ والى قوله : وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا ، وهو يبطل قواعد المجبره

الذين قالوا : ان الله كلف عبادهُ بالمحال وما لاقدرة لهم عليه ، واي يسر في ذلك ، واي عسر اعظم منه ؛ ثم انظر الى قوله (ع) ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً فانه لايلزمون المعصية الصادرة عن العباد مع انه (تع) لم يردها منهم كونه مغلوباً لانه تعالى انما يكون مغلوباً لولم يتمكن من فعل ضد ارادتهم لكنه تعالى متمكن قادر ، وانما لم يفعل لأن ارادة ايقاع الفعل من العبد على جهة الاختيار ، ثم انظر الى قوله (ع) ولم يرسل الانبياء لعباً ، ولم ينزل الكتاب عبثاً ولاخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ، كما قال الله فانه مبطل لقواعدهم ايضاً حيث يقولون ان الله لايفعل لغرض ولاالمصلحة ولاالحكمة ، ولم يخلق الرجل للمشي ولا اليد للبطش ولا اللسان للنطق الى غير ذلك من الاعضاء ، ولم يخلق السموات والارض وما بينهما لحكمة ولا لغاية ، ولا لغرض البته . بل خلق جميع ذلك لالفائدة راجعة اليه ؛ ولا الى خلقه بل لالفايدة اصلا ، وهذا بعينه هو العبث والباطل واللعب ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

وسأل ابو حنيفة (١) مولانا الكاظم (ع) فقال المعصية ممن . فقال (ع) : المعصية اما من العبد اومن الله (تع) او منهما . فان كانت من الله فهو اعدل وانصف من ان يظلم عبده الضعيف بأخذه بما لم يفعله ، وان كانت المعصية منهما فهو شريكه والقوى اولى بانصاف عبده الضعيف ، وان كانت المعصية من العبد وحده فعليه وقع الامر ، واليه توجه الذم والمدح ، وهو احق بالثواب والعقاب ، ووجبت له الجنة والنار ، فقال ابو حنيفه : ذرية بعضها من بعض .

احتجاج الاشاعرة والجواب عنه

احتجت الاشاعرة بوجوه ﴿١﴾ ان العبد لو كان فاعلا فان لم يتمكن من الترك لزم الجبر ، وان تمكن فان لم يفتقر الترجيح الى مرجح لزم ترجح احد الطرفين المتساويين على

اخر

[١] ابو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي مولى تيم الله الكوفي وكذ الاعلام ينتمي اليه المذهب الحنفي ، ذكره الشيخ الطوسي المتوفى ٤٦٠ هـ في «رجاله» انه من اصحاب الامام الصادق ومن تلامذته؛ فولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٠ هـ ابن الاثير ج ٥ ص ٢٢٠

الأخر لالمرجح وهو محال ، وان افتقر فذلك المرجح ان وجب معه الفعل لزم الجبر وعاد البحث اليه فيتسلسل .

﴿٢﴾ إن الله ان علم وقوع الفعل وجب وقوعه والالزم انقلاب علم الله جهلا وهو محال ، وان علم عدمه استحال وقوعه ، وعلى كلا التقديرين يلزم الجبر .

﴿٣﴾ العبد لو كان فاعلا لكان شريكا مع الله وهو محال .

﴿٤﴾ ان الايمان لو اراده الله من الكافر لزم عجز الله لأن الكافر قد وقع مراده وهو الكفر والله لم يقع مراده وهو الأيمان . فالجواب عن الاول من حيث المعارضة ومن حيث الحل . اما من حيث المعارضة فانا نورد دليلهم في حق الله ونقول الله اذا فعل فعلا فان لم يتمكن من تركه لزم الجبر ولا يكون الله مختاراً في افعاله بل يكون موجباً وهو كفر لانه مذهب الفلاسفة ، وان تمكن من الترك كان قدرته على الفعل والترك واحدة فاذا رجح الفعل فان لم يفتقر الى مرجح لزم ترجيح احد الطرفين علي الأخر لا لمرجح وهو محال عندهم ، وان

افتقر الى مرجح فذلك المرجح ان لم يجب عاد البحث فيه . فما هو جوابهم عن الله، هو جوابنا عن العبد .

واما الحل : فانا نقول اولا يجب معه الفعل قوله : يلزم الجبر. قلنا : لا نسلم فان الفعل هنا يجب بقدرة العبد وارادته ، والجبر انما يلزم لو وجب لا بقدرته وارادته ، واما ثانياً فانا نقول انه لا يجب معه الفعل . قوله : يلزم ترجيح احد الطرفين المتساويين على الاخر لا لمرجح . قلنا : نمنع تساويهما بل يكون الفعل ارجح وان لم ينته الى حد الوجوب وترجيح الراجح ليس بمحال، واما ثالثا فانا نمنع استحالة ترجيح احد الطرفين المتساويين على الأخر للقادر لا بالمرجح فان العلم القطعي حاصل بان الجايع اذا قدم اليه رغيفان متساويان فانه يتناول احدهما من غير ان ينتظر وجود مرجح ، والهارب من السبع اذا اعترضه وله طريقان متساويان فانه يسلك احدهما ولا ينتظر وجود المرجح والأصل في ذلك ان القادر يفعل بواسطة قدرة واختيار ودعوة الداعي الى الفعل فهذا الداعي هو علم الفاعل او ظنه بان ما يفعله

ضار او نافع فيه وهو يقصد الخير فاذا تعدد طريقه وتساوي الطريقان في حصوله فانه يسلك احدهما من غير مرجح لأن مطلوبه يحصل بكل واحد من الطريقين والمراد هو القدر المشترك والخصوصيات لامدخل لها في قصده بل انما يحصل مقصوده ؛ والجواب عن الثاني من حيث المعارضة ومن حيث الحل . اما المعارضة فان دليلهم وارد في حق الله لانه (تع) وان علم وقوع الفعل عنه فان جاز ان لايقع لزم تجويز الجهل عليه (تع) وان امتنع لزم الجبر وانتفاء قدرة الله فيكون الله موجباً لامختاراً وذلك عين الكفر ؛ واما الحل فانا نقول العلم تابع للمعلوم وحكاية عنه وغير مؤثر فيه والحكاية قد يتقدم المحكي كما تقول غداً تطلع الشمس من المشرق فانه حكاية عن طلوع الشمس متقدمة عليه ، وقد تتأخر عن المحكي ولا يلزم منه وجوب المعلوم ، وذلك لان العلم والمعلوم امران متطابقان ولا علم الا وهو بازائه معلوم والاصل في التطابق هو المعلوم دون العلم ؛ فاذا تعلق العلم بوجود زيد في الدار فلولا ان يكون لوجود

زيد في الدار تحقق اما قبل العلم اوبعده اومعه لم يتعلق العلم به فهو تابع مؤثر في المعلوم ايجاباً وامتناعاً نعم اذا فرضت تعلق العلم به فقد فرضت وقوع المعلوم لان فرض وقوع احد المتطابقين يستدعي فرض وقوع الاخر فان فرضت وقوع المعلوم حصل له وجوب اللاحق، وكذا اذا فرضت مايطابقه ، وكما ان الوجوب مع فرض وقوع المعلوم لا يؤثر في الامكان الذاتي للمعلوم كذا فرض العلم الذي هو مطابقه ، ولا فرق بين علم الله وبين علم الواحد منا ، فاذا علمنا وجود زيد في الدار لولم يكن موجوداً في الدار لزم ان لايكون مافرضناه علماً وانقلاب الحقايق محال فيجب ان يكون زيد موجوداً حتى يمكن تحقق علمنا به ؛ وكما ان وجود زيد في الدار يكون مستنداً الى ارادته وقدرته لا الى علمنا كذلك علم الله غير مؤثر في المعلوم ؛ وعن الثالث انه خطأ اذ الشركة انما يتحقق لوقلنا ان العبد قادر لذاته على جميع الاشياء غير مغلوب في شيء ممايريده ؛ واما اذا قلنا ان الله قد منحه قدرة وارادة باعتبارها يؤثر في

بعض الافعال وان الله قادر على تعجيزه وقهره وسلب قدرته وارادته فانه لايلزم ان يكون شريكا لله ؛ وعن الرابع ان العجز انما يلزم لولم يقدر الله على قهر الكافر على الايمان ، اما على تقدير ان يقدر الله على قهره عليه والجائه فانه لايكون عجزاً لكن الله لم يرد منه ايقاع الايمان كرهاً بل على سبيل الاختيار لئلا يقبح التكليف منه (تع) فاي عجز يتحقق حينئذ اذا لم يؤمن العبد باختياره فان السلطان اذا امر وزيره ان يفعل فعلا يكون الوزير فيه مختاراً لامجبراً بل فوض السلطان اليه الاختيار فانه اذا لم يتخير فعله لم ينسب السلطان الى عجز . نعم لواراد السلطان منه الفعل كيف كان سواء كان باختيار الوزير او بغير اختياره فاذا لم يفعل الوزير ثبت العجز ؛ والفرق بين الصورتين ثابت ؛ وهذا آخر مااوردناه في هذه الرسالة الشريفة والله الموفق الى الصواب واليه المرجع والمآب .

انتهى .

فهرس مواضيع الكتاب

صحيفة

ص اعلام الكتاب

فهرس الكتب المؤلفة في القضاء والقدر

(١) انقاذ البشر من الجبر والقدر . للسيد الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ وهو الكتاب المتقدم .

(٢) استقصاء النظر في القضاء والقدر . لأبي منصور الحسن ابن يوسف المعروف بالعلامـة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦هـ وهو هذا الكتاب . وقد رد هذا الكتاب بعض كبار السنة .

(٣) النور الأنور والنور الازهر في تنوير خفايا رسالة القضاء والقدر . للقاضي نور الله الشهيد . كتبه في الرد على من انتقد كتاب العلامة الحلي .

(٤) انقاذ البشر في القضاء والقدر ، للاستاذ الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

(٥) رسالة في القضاء والقدر . لابن كمال باشا (١) .

(٦) رسالة في القضاء والقدر . لمولى عصام (٢) .

« ٧ » رسالة في القضاء والقدر . لبالي خليفة . «٣» ذكرت

هذه الكتب الثلاثة في « كشف الظنون » ج ١ ص ٥٦١ .

« ٨ » كتاب القضاء والقدر . لابن قيم الجوزيه . كشف الظنون ج ٢ ص ٢٩٥ .

« ٩ » القضاء والقدر لكافي الكفاة اسماعيل المعروف بالصاحب بن عباد الطالقاني المتوفى سنة ٣٨٥ ﻫ ذكر في فهرست مؤلفاته ، ولعله الموجود في كتابه المرسوم بـ « الأبانه » عن مذهب اهل العدل عند رده للمجبرة والقدرية . ويحتمل انه من رسائله التي جمعت في مجلد واحد وسمي بـ « المختار » من رسائل الوزير بن عباد . الموجود في المعهد العلمي بباريس كما في فهرسه . والابانة . موجود فى النجف عند السيد ابو القاسم الاصفهاني .

(١٠) المختصر في القضاء والقدر . للمولى كمال الدين عبد الرزاق بن جمال الدين محمد الكاشاني المتوفي سنة ٧٣٠ ﻫ او ٧٣٥ ﻫ موجود في طهران في مكتبة المرحوم الحاج محمد سلطان المتكلمين ، وفي مكتبة المستشرقين بباريس كما في فهرسها . موجودة منه

تسعة فصول .

(١١) تحفة الابرار في الاقضية والاقدار . للشيخ عبد الله ابن فرج القطيفي المعاصر للشيخ عبد الله السماهيجي ، مرتب على مقدمة وفصول موجود منه نسخة في النجف.

(١٢) القضاء والقدر . رسالة مختصرة . للسيد جمال الدين الافغاني المتوفى سنة ١٣٢٣ه طبعت بمطبعة المنار بمصر .

(١٣) رسالة في القضاء والقدر . لبا يزيد الثاني المولى علي ابن عناية الله البايزيدي المعاصر للشيخ البهائي . موجود في مكتبة الحسينية في النجف وفي مكتبة راجة فيض ابادي بالهند.

(١٤) رسالة فارسية في القضاء والقدر . في عشرة فصول لبعض الاصحاب . ذكرت في كتاب [كشف الحجب] .

(١٥) رسالة فارسية في القضاء والقدر . الفت للسلطان بهادر شاه . ذكرة في كتاب [كشف الحجب] .

(١٦) رسالةفي القضاء والقدر . لملا صدرا الشيرازي المتوفى سنة ١٠٥٠ ه طبعت في مجموعة رسائله في ١٣٠٣ ه .

(١٧) رسالة في القضاء والقدر لنظام العلماء الميرزا محمد رفيع الطباطبائي الفه سنة ١٢٨١ هـ وله كتاب (حقيقة الأمر في الامرين) المطبوع بايران .

(١٨) رسالة في القضاء والقدر . يحتمل انها المتحقق الفيض الكاشاني المتوفى سنة ١٠٩٢ هـ

(١٩) رسالة في القضاء والقدر . للشيخ علي الحزين الزاهد الكيلاني المتوفى سنة ١١٨١ هـ حكاه في نجوم السماء عن مثرات الاحوال .

(٢٠) رسالة في القضاء والقدر . للشيخ عبد علي بن ناصر ابن رحمة الحويزى .

(٢١) كتاب في القضاء والقدر . لقاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي احد رجال القرن الرابع الهجري . موجود منه نسخة في النجف الإشرف .

وقد اقتطفنا هذا الفهرست من كتاب [الذريعة الى مصنفات الشيعة] للعلامة الكبير الشيخ اغا بزرك السامرائي .

حقائق التـــــأويل

للسيد الشريف الرضى المتوفى ٤٠٦

أثر خالد وسفر جليل يكشف غوامض الكتاب العزيز ويميط عن متشابهاته كل حجاب لا يعرف له علماء التفسير للان نظيراً ، وكفاه ان مؤلفه اشهر شخصية علمية ادبية عرفت في العصور الاسلامية ، وقد مثلته للطبع اليوم ادارة (منتدى النشر) ، وبيدها الآن الجزء الخامس منه ولا تزال جادة في تحصيل باقي اجزائه ، وقد الفت لجنة لتصحيحه وتدقيقه ؟



فهرست الطو...

سيمثل هذا الكتاب للطبع الاستاذ الش... تعليقة له عليه مقتبسة من اعظم المصادر الت... ومستوفية لكل ما يتعلق بالمترجم من اثار عل... هذه التعليقة على سعة اطلاع الناشر وكثرة تتبـ...